IJLER International Journal of Language and Education Research

Volume 2, Issue 2, August 2020, p. 50-72

İstanbul / Türkiye

Article Information

Article Type: *Research Article*

This article was checked by iThenticate.

Article History:
Received
07/01/2020
Received in revised form
10/01/2020
Accepted
14/02/2020

THE TWO-PART SIMPLE STRUCTURE OF THE ARABIC NOMINAL SENTENCE A RHETORICAL FUNCTIONAL STUDY IN ALTAQHABUN QURANIC SURA

Sager Khalaf Awad ALSHABANY [1]

Abstract

The current study deals with the basic elements of the sentence structure represented by the subject and the predicate. It tries to focus on the simple clausal structure and on the sentence emerging from that structure. This includes the status of each sentence with regard to preposing and postposing. The study also studies declaring and hiding the functions of these structures side by side with the other parts of the nominal sentenc as far as preposing and postposing are concerned. In addition, this study states the benefit of the rhetorical and functional value of that structure as it is pointed out by the theory of formulation created by Al-Jurjani. Al-Taghabun Qur'anic Sura is chosen for the practical analysis in this study. It is based on underlying the sentences in this Sura, then analyzing the rhetorical functions from the Glorious Quran contexts included in these sentences.

Key Words: Nominal Adjustment, subject, predicate, At –Taghabun chapter (surah).

[1] Corresponding Author: Prof. Dr., University of Kirkuk - College of Arts, Iraq, alshabanyskr@gmail.com

النَّسَقُ الاسميَّ غَيرُ المُقَيَّدِ
ذَو الرُّكنَينِ المُفرَدَينِ، دِراسَةٌ فِي البَيَانِ والوَظِيفَةِ، سُورَةُ التَّغَابُنِ أنمُوذَجاً

صكر خلف عواد الشعباني[2]

ملخص

اهتمت هذه الدراسة بركني الجملة الاسمية الأساسيين، أي بالعمد، وهما المسند والمسند إليه، أو المبتدأ والخبر، وخاصة المفردين منهما، أي ما ليس جملة أو شبه جملة، واهتمت الدراسة بتركيب هذه الجملة المكونة منهما، ورتبة كل منهما، أي تقديمهما، وتأخيرهما، وإظهارهما، وإضمارهما، وترتبتهما مع فضلات الجملة الاسمية تقديما وتأخيرا، وفائدة كل ذلك في البيان، أي القيمة البيانية والوظيفية من هذا التركيب، وهو ما تتوخاه نظرية النظم – التي نادى بها رائد البلاغة العربية الجرجاني – من التركيب النحويّ ونوع أجزائه المؤلفة من العمد، والفضلات، وقد اخترنا سورة التغابن ميدانا تطبيقيا لهذه الدراسة، فقمنا بإحصاء هذا النوع من الجمل في هذه السورة أولا، ثم باستقراء الأنساق الواردة فيها بدراسة تحليلية لاستخراج الأغراض البيانية والوظيفية من تنوع ركني الجملة في سياقاتها القرآنية الواردة فيها.

الكلمات المفتاحية: النسق الاسمي، المبتدأ، الخبر، سورة التغابن.

المقدمة

واما بعد مصاحبتي للجمل القرآنية زمانا ليس بقصير، وبعد إنشائي فيها أعمالاً عامة وخاصة، تجسد العمل الأول في الجمل القرآنية المستأنفة، والذي وسمناه بـ(الجملة الاستئنافية في القرآن الكريم)، وتجسد العمل الثاني بـ(القيم الوظيفية والبيانية لتراكيب الجمل في سورة المزمل)، وقد مثّل هذان العملان الجمل الاسمية والفعلية المنسوخة وغير المنسوخة، (أي المقيدة وغير المقيدة)، ثم تجسد العمل الثالث بـ(الخصائص السياقية والبيانية لـ(إنّ) وجملتها في سورة المزمل)، وقد مثّل هذا العمل الجمل الاسمية المنسوخة، (أي المقيدة)، وبعد هذه الأعمال ارتأيت أن أخصص عملاً مستقلاً للجملة الاسمية غير المنسوخة، (أي المطلقة) غير المقيدة، وارتأيت أنّه من المناسب أن يوسم هذا العمل بـ(النسق الاسميّ غير المقيد، ذو الركنين المفردين، دراسة في البيان والوظيفة، سورة التغابن نموذجا)، ونعني بالجمل(غير المقيدة) الجمل (المطلقة)، وهي عند البلاغيين: الجمل التي لا يتعلق الغرض فيها بتقييد الحكم بوجه من الوجوه ليذهب السامع فيه كل مذهب ممكن، أو هي الجمل التي اقتصر فيها على ذكر جزئيها المبتدأ والخبر، أي المسند والمسند إليه، وفيها الحكم مطلق غير مقيد بقيد، ولا منسوخ بناسخ، وهذا المصطلح عند النحويين حديث الاستعمال ويقصدون به الجمل غير المنسوخة، ووجدت أنّ الميدان المناسب لهذه الدراسة هو سورة (التغابن)، وبعد جرد الجمل الاسمية فيها وجدناها كثيرة على هذا النوع من البحوث، ولاسيّما أنّنا نريد فيها دراسة تفصيلية فقررنا أن تختص دراستنا بالجمل الاسمية ذي الركنين المفردين وتحديداً في الجمل (المطلقة)، أي غير المقيدة بناسخ. واعتمدت دراستنا هذه على منهجين أساسيين، الأول: المنهج الإحصائي الاستقرائي، حيث قامت الدراسة على إحصاء مواطن الجمل المذكورة في سورة (التغابن)، ثم قامت بتوزيعها على أنواع الأنساق، أي حسب نوع تركيب الجملة، ومن ثم جاء المنهج التحليلي والذي قمنا من خلاله بتحليل أجزاء الجملة المسند والمسند إليه، لتبيين القيم البيانية من خلال اجتماعهما في الجملة أو النسق، وأردنا من هذا العمل أن يكون تطبيقاً عملياً لنظرية النظم التي نادى بها عملاق البلاغة (الجرجاني) في كتابه (دلائل الإعجاز) من تعلق الكلم بعضه ببعض لتأدية وظائف بيانية، ومن ثم تبيين الوظيفة النحويّة للمفردات والجمل في السياق اللغوي والقرآني، وهذه

[2] أ. د، العراق- جامعة كركوك- كلية الآداب .

الوظائف البيانية والنحويّة لا يمكن حصر أغراضها ودلالاتها التي تأتي من أجلها أو تؤديها؛ لأنّها تعرف من القرائن وسياق الكلم، لذا ترك الشُّـــرّاح والبلاغيون مجالاً مفتوحاً لمن أراد الغوص والتبحر في المعاني الثواني لأغراض الخبر على وفق القرائن والأحوال، ولا يمكن وضع أحكام محددة لهذه المعاني الكثيرة؛ لأنّها أوسع من أن تحيط بها دراسة. ولعلّ أهمية الدراسة هذه تكمن في الجانب التطبيقي، أي في الكشـف عن وظيفة وبيان المفردات والجمل(المطلقة) مفردة الركنين في السـياق القرآنيّ وسـبر أغوارها وإعجاز أسـلوبها في مفرداتها وتراكيبها، وعمق معانيها انطلاقا من حقيقة مفادها أنّ المفردات هي جزء لا يتجزأ عن الجمل، كما أنّ الجمل بدورها هي جزء لا يتجزأ من بنية النص القرآنيّ بسـماته ودلالاته، وقد أفاد البحث من كثير من المصـادر التي أضـاءت بعض جوانب السـورة، لكنّ ثراء كلمات القرآن الكريم وتراكيبه وأسلوبه وبلاغته وبيانه أشياء لا تنتهي مهما تعددت الدراسات وكثرت، ونحن من خلال هذه الدراسة نلتمس جانباً من جوانب أسـرار الإعجاز اللغويّ القرآنيّ الذي لا ينتهي، وقد توخيناه في التركيب القرآني لقلة الدراسـات التطبيقية المتخصـصـة فيه أولاً، واسـتئناسـاً بقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (وأسـرار مفردات القرآن ومركباته فوق عقول العالمين)(ابن القيم،1988ص133)، وقوله كذلك: (وأسرار كلام الله أجل وأعظم من أن تدركها عقول البشر، وإنّما غاية أولي العلم الاستدلال بما ظهر منها على ما وراءه، وإنّ نسبة باديه إلى الخافي يسير)(ابن القيم،1988،ص599) فالأسـرار القرآنية اللغويّة، أي القيم البيانيّة والوظيفيّة إنّما تكون في المفردات والتراكيب، وقوله هذا نراه تفسيراً لقوله تعالى:{قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا}(سـورة الكهف:109)،ونستأنس هنا كذلك بقول الدكتور فاضل صـالح السـامرائي: (إنّنا ندلّ على شيء من مواطن الفنّ والجمال ، في هذا التعبير الفنيّ الرفيع، ونضع أيدينا على شيء من سموّ التعبير، ونبيّن أنّ هذا التعبير، لا يقدر على مجاراته بشر، بل ولا البشر كلهم أجمعون، ومع ذلك لا نقول: إنّ هذه هي مواطن الإعجاز، ولا بعض مواطن الإعجاز؛ وإنّما هي ملامح ودلائل تأخذ باليد، و إضاءات توضع في الطريق، تدلّ السالك على أنّ هذا القرآن كلام فنّيّ مقصود وضع وضعاً دقيقاً ونسج نسجاً محكماً فريداً، لا يشابهه كلام، و لا يرقى إليه حديث)(د. فاضل السامرائي،2006،ص80).

وبعد جمع المادة وجدنا أنّها من المناسب أن تقسم على أنواع الأنساق، وبعد فرزها وجدناها تنتظم في سبعة أنساق رئيسة كل نسق شكّل مبحثاً مستقلاً سمي باسمه، وقد سبق هذه الأنساق مقدمة وتمهيد، وأعقبها خاتمة، وسرد للمصادر والمراجع. وعند تحليل النسق ذكرنا تركيبه، ثم عدد وروده في(سـورة التغابن)، وذكرنا مواطن الورود فيها، ثم أعربنا النسـق، ثم بيّنا القيم البيانية للسـياق الذي وردت فيه الجملة، ثم تحدّثنا عن ركني الجملة، المسند والمسند إليه، ودلالات كل منهما، أو أغراضـهما، أو أغراض السياق، ثم وظيفة الجملة في سـياق الآية، ومعنى النسـق، أي اهتم التحليل بالمسـتوى النحويّ، واللغويّ، والصـرفيّ، والبلاغيّ، والدلاليّ، واهتم بجانب التفسـير أيضـاً، وكل هذه العلوم تتضـافر لتبيّن بمجموعها معنى النص لتكشـف عن أسراره التي كلّفنا الله تعالى بإخراجها، أو تأملها من النص القرآنيّ الذي أشار إليه قوله تعالى:{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}(سورة محمد:24)، وفي ختام القول نقول: هذه محاولة مِنّا للكشـف عن القيم البيانيّة والوظيفيّة في سـورة(التغابن) في الجمل المفردة الركنين غير المقيدة بناسـخ، محاولين ذلك عن طريق تطبيق عملي لنظرية النظم، ومسـتعينين في ذلك بكل معطيات علوم اللغة العربية، من نحو وصـرف وبلاغة ولغة، فإن وفقنا فالتوفيق من الله، وهذا هو المبتغى ولله الحمد، وإن أخفقنا فمن أنفسـنـا وتقصـيرنا ونقصـنـا الذي جبلنا عليه، فالكمال لله وحده،{وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ}(سورة يوسـف:76)، وحسبنا أنّنا اجتهدنا وحاولنا فتح باب قد يفتحه غيرنا بعدنا ليحسب لنا فيه أجر وثواب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

من الضروري في الدراسة العلمية الأكاديمية توضيح أجزاء الدراسة، أو أجزاء عنوانها، أو قيوده ليتضح للقارئ جوانب الدراسة، أو ميدان العلم الذي اهتمت به تلك الدراسة، ولتحصيل هذه الفائدة نبدأ بالحديث على الجملة النحوية، فالجملة ركن أساس في الظاهرة اللغوية ودراستها، ومع ذلك لم يعن بها متقدمو أئمة العربية عناية واضحة حتى وقت متأخر، أي في القرن الثامن للهجرة، وإنّ عنايتهم بها لم تكن واضحة المعالم والماهية، ومن المعروف أنّ تأريخ التأصيل النحويّ يبدأ من سيبويه، لكنّه مع ذلك لم يستعمل في كتابه كلمة جملة بالمعنى الاصطلاحي بل استعملها بالمعنى اللغويّ الذي يوحي بالإجمال والإيجاز، وذلك في ستة مواضع من كتابه، لذلك لا يقف الباحث عند سيبويه على حديث تأصيلي مباشر عن الجملة، بل يقف على ممارسات إجرائية ذات طابع مصطلحي حيناً، وذات طابع وصفيّ وتأويلي توجيهي حيناً آخر يمكن أن يشف عن مفهوم سيبويه للجملة (فلفل،2009،ص3-10)، وقد كثر الكلام على الجملة عند النحويين والبلاغيين والأصوليين بعد ذلك لكن لا يكاد يخرج الباحث منها بمفهوم واضح، وقد فصّلنا ذلك في كتابنا(الجملة الاستئنافية في القرآن الكريم)(د.الشعباني،2014،التمهيد)، وعقدنا لها فصلاً وسمناه بـــ(الجملة والكلام، رؤية نقدية في مفهوم الترادف والتباين)، وتوصلنا إلى أنّه من الصعب تحديد تعريف الجملة، للترادف الحاصل بين مصطلحي الجملة والكلام أولاً، وثانياً ؛ لأنّ للجملة تعريفات متعددة بتعدد زوايا النظر إليها، والذي يهمنا منها هنا نوعان هما: الجملة الإسنادية والجملة غير الإسنادية، فالإسنادية منهما: هي اللفظ المركب تركيباً إسنادياً أفاد أم لم يفد، وغالباً ما يكون ذلك في الجمل الخبرية، أمّا غير الإسنادية فهي التي لم تؤسس على عنصري الإسناد الأساسيين، المسند والمسند إليه، وغالباً ما يكون ذلك في الجمل الإنشائية (د.الشعباني،2014،ص:22)، وهي((الجمل التي يمكن أن تعد جملاً افصاحية، أي إنّها كانت في أول أمرها تعبيراً انفعاليا يعبر عن التعجب، أو المدح، أو الذم، أو غير ذلك من المعاني التي أخذ التعبير عنها صورة محفوظة، ثم جمد بعض عناصرها على صيغته التي ورد بها فجرى مجرى الأمثال)(حماسة،1983،ص:97)، أوهي (التي تستعمل للكشف عن موقف انفعالي ما و الإفصاح عنه)(حماسة،1983،ص:116)، والجملة العربيّة من ناحية الإسناد-كما يرى النحاة– تتألف من ركنين أساسيين ومن فضلة، والركنان هما المسند والمسند إليه، وهما عمدة الكلام، والمسند إليه عندهم لا يكون إلا اسماً، أمّا المسند فيكون اسماً وفعلاً، والفعل هو مسند دائماً، ولا يكون إلاكذلك (د. فاضل السامرائي،2009،ص34) .وتقسم الجملة من حيث التصدّر الفعليّ إلى جمل اسميّة، وأخرى فعليّة، فالاسميّة: هي التي صدرها اسم، نحو: زيد قائم، وما قام مقامه، نحو: هيهات العقيق، وقائم الزيدان، والفعلية: هي التي صدرها فعل، نحو: قام زيد، ويقوم: زيد، وقم (ابن هشام،1985،ص490-500 ، وخالد الأزهري،1986،ص43)، والأصل في الجملة التي مسندها اسم أن يتقدم المسند إليه، نحو: أخوك قادم، ولا يتقدم المسند إلا لسبب، ويستثنى من ذلك الوصف الذي اكتفى بمرفوعه، نحو: أقائم الرجلان، واسم الفعل وفاعله، نحو: هيهات الأمل، فلا يصح تقديم المسند إليه فيهما، والأصل في الجملة التي مسندها فعل أن يتقدم الفعل، نحو: قدم أخوك، ولا يتقدم المسند إليه إلا لسبب، ويدخل ذلك في باب التقديم والتأخير، فإن فعلت ذلك لسبب اقتضاه المقام، فإنّ ذلك يدخل في باب العناية والاهتمام الذي تتعدد أسبابه وأنواعه (د. فاضل السامرائي،2009،ص43)، و(يستخدم مصطلح (الجملة الاسمية) للإشارة إلى أنواع متعددة من الجمل العربية تجتمع معا في أنّه يتصدرها الاسم مع وقوعه ركنا إسناديا فيها، ومقتضى هذا التصور الذي يشيع بين النحاة أنّه لا عبرة في التصدر بالعناصر غير الإسنادية التي لا تقع ركنا من أركان الجملة سواء أكانت أسماءً أم أفعالاً أم حروفاً)(أبوالمكارم2011،ص 19)، وقد أطلقنا على الجملة الاسمية مصطلح(النسق الاسمي)، وذلك لمراعاة الرتبة في نظام الجملة في أصلها غير المعدول، ومنه أخذت تسمية (عطف النسق)؛ لأنّه يجعل الجمل تنتظم مع بعضها في خط واحد، أي نسق واحد, فتأخذ اللاحقة منهما حكم السابقة، وإذاكان نسق الجملة مكوناً من مسند ومسند إليه فقط فالحكم فيه مطلق، أي غير مقيد(وذلك حين لا يتعلق الغرض بتقييد الحكم بوجه من

الوجوه، ليذهب السامع فيه كل مذهب ممكن)(الهاشمي،2008،ص 171)، وإذا زيد على المسند والمسند إليه شيء مما يتعلق بهما أو بأحدهما فالحكم مقيد((فالإطلاق والتقييد عند البلاغيين وجهان للحكم ، فالإطلاق أن يقتصر في الجملة على ذكر المسند والمسند إليه حيث لا غرض يدعو إلى حصر الحكم ضمن نطاق معين بوجه من الوجوه، نحو(الوطن عزيز)، والتقييد أن يزاد على المسند والمسند إليه شيء يتعلق بهما أو بأحدهما مما لو أغفل لفاتت الفائدة المقصودة)(الهاشمي،2008،ص171)، والتقييد عند البلاغيين يكون بأنواع منها التوابع، وضمير الفصل، والنواسخ، وأدوات الشرط، والنفي، والمفاعيل الخمسة، والحال، والتمييز(الهاشمي،2008،ص171)، وقد عنينا بدراستنا هذه بـ(غير المقيدة) الجملة الاسمية غير المقيدة بناسخ تحديداً، أي المطلقة، وقد انتقل مصطلحا الإطلاق والتقييد من ميدان البلاغة إلى ميدان النحو، لكنّ النحويين خصوا التقييد بالنواسخ، والإطلاق بالتجرد من النواسخ، فمصطلح(الجملة المقيدة)لا يعرفه التراث النحوي بل الشائع في هذا التراث استخدام مصطلح(الجملة المنسوخة) لكنّنا عدلنا عن مصطلح النسخ لارتباطه في تصور النحاة بالتغيير الذي يصيب الحالة الإعرابية دون التفات إلى بقية صور التغيير التي تلحق الجملة الاسمية، ذلك أن التغيير الإعرابي الذي يلحق أحد ركني الجملة أو هما معاً إنّما هو تغير شكلي، وثمّة أمر أهم منه وأعمق أثراً وهو التغيير الذي يتناول حالة الحكم المستفادة من العملية الإسنادية في الجملة الاسمية، وهو تغيير دلالي في المقام الأول، ويتضمن تقييد الإسناد فيها بأنواع من القيود الدلالية منها السلب، أو النفي، أو تقييدها بالزمن، أو ربط الحكم بفترة معينة، أو تقييدها بالتأكيد وغيرها من الدلالات، وكان هذا هو سبب إيثار مصطلح(الجملة المقيدة)، و(الجملة غير المقيدة، أو المطلقة)(أبو المكارم،2011،ص99) على مصطلح(الجملة المنسوخة)، و(الجملة غير المنسوخة) . ونعني بـ(الركنين المفردين) أن يكون ركنا الجملة، أي المسند و المسند إليه مفردين، أي ليس بجملة أو شبه جملة، أي كلمة واحدة مفردة وليس تركيباً أو شبهه. أمّا(البيان) فقد عنينا به هنا كل معطيات علم البلاغة من بيان وبديع ومعانٍ، علماً أنّ ذلك يكون وفق رتب الجملة في علم المعاني من تقديم وتأخير، وتعريف وتنكير، وحذف وذكر....الخ، ويكون ذلك في المفردات والجمل، بالإضافة إلى ذلك الاستفادة من كل معطيات علوم العربية التي تساعد على كشف المعنى، جاء في(البيان والتبيين): والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان ذلك الدليل؛ لأنّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع(الجاحظ،1423هـ،ج1/ص76، و طبانة ,1997،ص98)، فوظيفة البيان إذن هي استخراج الأغراض البلاغية الأولية والثانوية، أي الحقيقية والمجازية من استخدام المفردات وترتيبها في الجمل، أو من قول المتكلم، ويكون ذلك كله في طريقة النظم و خصائصه، قال الجرجاني عن النظم: ((هو توخي معاني النحو، وبيان ذلك أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها))(الجرجاني،1992، ج1/ص81)، أي هو تعلق الكلم بعضه ببعض، والتعليق بين الكلمات هو الذي يكسب الجملة معناها، أمّا الكلمات الحرّة أو المستقلة فلن تكون كذلك؛ لأنّ على المتلقي أن يركبها بطريقته الخاصة ليقيم بينها نوعاً من العلاقة تكسبها معنى، والتعليق النحويّ، ودرجة القبول للجملة، ومدى موافقتها للحقيقة الوضعية، أو الابتعاد عنها هما أهم أمرين في إكساب الجملة معناها(حماسة،2000، ص12)؛ ((لأنّ اللفظة الواحدة من الاسم والفعل لا تفيد شيئا، وإذا قرنتها بما يصلح حدث معنى واستغنى الكلام)(المبرد، د.ت،ج4/ص126) . أمّا مصطلح (الوظيفة) فنعني به الوظيفة النحوية التي تؤديها الجملة في السياق النحويّ، أي موقعها من الإعراب، وعلاقتها مع الجمل الأخرى، فقد يكون لها محل من الإعراب فيتنوع إعرابها من خبرية وحالية أو وصفية...الخ، وقد لا يكون لها محل من الإعراب فتكون منفصلة صناعياً عمّا سبقها، كالجملة الابتدائية، والاعتراضية، والاستئنافية مثلاً، التي تستأنف لغرض جديد عمّا سبقها، ولا تكون جزءاً صناعياً، أي نحوياً ممّا سبقها من جمل، ولهذا المحل الإعرابي

أو عدمه للجمل دوره في إيضاح معنى النص، أو السياق الذي يحويها ويتألف منها لينجلي معناه العام بعد ذلك. أما(سورة التغابن): فقيل هي من السور المدنيّة في قول الأكثرين من الجمهور، وقيل: بل هي مكيّة، وقيل: هي مكيّة إلا آيات من آخرها فهي مدنيّة (ابن عطية، 2007، ج5/ص317، والشوكاني ، 1994، ج5/ص232، والآلوسي، 2000، ج27/ص435، وابن عاشور،2000، ج28/ص231)، وقيل: هي مدنية تعنى بالتشريع، ولكن جوّها جوّ السور المكيّة التي تعالج أصول العقيدة الإسلامية (الصابوني، 2009، ج3/ص1343)، وسميت بهذا الاسم لوقوع لفظ{التغابن}(سورة التغابن:9) فيها ولم يقع في غيرها من القرآن، لذلك لا تعرف هذه السورة بغير هذا الاسم(ابن عاشور،2000، ج28/ص231)، وعدد آيها قيل: ثماني عشرة آية (الشوكاني، 1994، ج5/ص232، وابن عاشور، 2000، ج28/ص231)، وقيل: تسع عشرة آية بلا خلاف(الآلوسي، 2000، ج27/ص435)، والظاهر أن الخلاف يكمن في عدّ البسملة آية أو عدم عدّها عند بعضهم، وهي معدودة السابعة والمئة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الجمعة، وقبل سورة الصف بناءً على أنها مدنيّة(ابن عاشور،2000، ج28/ص231)، في قول الأكثرين . أمّا في معنى{التغابن}فالغبن في اللغة: ثني الشيء من دلو أو ثوب لينقص من طوله (الأزهري،2001، مادة غبن)، والغبن: مصدر غبن الرجل في البيع غبنا، فهو مغبون في البيع إذا نقصه، وغبن دينه وعقله فهو مغبون في العقل والدين(ابن دريد،1987، مادة غبن)، أوهو أن يعطي البائع ثمناً لمبيعه دون حق قيمته التي يعوض بها مثله ، فالغبن يؤول إلى خسارة البائع في بيعه، فلذلك يطلق الغبن على مطلق الخسران مجازاً مرسلاً، و{التغابن}مصدر غابنه من باب المفاعلة الدالة على حصول الفعل من جانبين، أو أكثر، وحقيقة صيغة المفاعلة أن تدل على حصول الفعل الواحد من فاعلين فأكثر على وجه المشاركة في ذلك الفعل(ابن دريد، 1987، مادة غبن)، وذلك((يعني أنّ يوم القيامة هو يوم التغابن، وذلك أنّه يغبن فيه بعض أهل المحشر بعضاً، فيغبن فيه أهل الحق أهل الباطل، ويغبن فيه أهل الإيمان أهل الكفر، وأهل الطاعة أهل المعصية، ولا غبن أعظم من غبن أهل الجنة أهل النار عند دخول هؤلاء الجنة وهؤلاء النار، فنزلوا منازلهم التي كانوا سينزلونها لو لم يفعلوا ما يوجب النار، فكأن أهل النار استبدلوا الخير بالشر، والجيد بالرديء والنعيم بالعذاب، وأهل الجنة على العكس من ذلك)(الشوكاني،5،1994 /234)، والتعريف فيها للجنس وفيه دلالة على استعظام ذلك اليوم، وإن التغابن فيه هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في أمور الدنيا، وإن جلّت وعظمت(الآلوسي،2000،ج27/ص442). ومناسبة هذه السورة لما قبلها أنّه سبحانه وتعالى ذكر هناك حال المنافقين، وخاطب بعد ذلك المؤمنين، وذكر جلّ وعلا هنا تقسيم الناس إلى وكافر ومؤمن (الآلوسي،2000، ج27/ص435)، وتحدّثت السورة الكريمة عن جلال الله وعظمته وآثار قدرته، ثم تناولت موضوع الإنسان المعترف بربّه و الإنسان الجاحد بآلاء الله، وضربت الأمثال بالقرون الماضية، والأمم الخالية التي كذبت رسل الله فاستحقت العذاب، وما حلّ بهم من العذاب والدمار نتيجة كفرهم وعنادهم وضلالهم، وأقسمت السورة على أن البعث حق لا بد منه سواء أقرّ به المشركون أو أنكروه، وأمرت السورة بطاعة الله وطاعة رسوله، وحذّرت من الإعراض عن دعوة الله تعالى، كما حذرت من عداوة بعض الزوجات والأولاد، فإنّهم كثيراً ما يمنعون الإنسان عن الجهاد والهجرة، وختمت السورة بالأمر بالإنفاق في سبيل الله لإعلاء دينه تعالى، وحذّرت من الشحّ أو البخل؛ لأنّها صفة تتنافى مع صفات المؤمن، فالمؤمن ينفق في سبيل الله تعالى ابتغاء مرضاته، وهو شطر الجهاد فإنه ينقسم إلى قسمين: جهاد نفس وجهاد مال (الصابوني، 2009،ج3/ص1343) . أمّا أغراضها: فقد اشتملت على التذكير بأنّ من في السماء ومن في الأرض يسبحون لله، وينزهونه عن النقائص تسبيحاً متجدداً، وإنّ الملك لله وحدة فهو الحقيق بالحمد والتوحيد، وعدم الكفر بنعمه تعالى، واشتملت على التحذير من إنكار رسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وإنذارهم على ذلك ليعتبروا بما حلّ بالأمم الذين كذبوا رسلهم وجحدوا بيناتهم تكبراً أن يهتدوا بإرشاد بشر مثلهم، واشتملت على الإعلام بأنّ الله عليم بالظاهر والخفيّ في السماوات والأرض، واشتملت على ذكر إنكار البعث، وبينت لهم عدم استحالته وهددتهم بأنّهم يلقون حين يبعثون جزاء أعمالهم، واشتملت على تثبيت المؤمنين على ما

يلاقونه من ضرّ أهل الكفر بهم، وحثتهم على التوكل على الله في أمورهم، وعرّضت لهم بالصبر على أموالهم التي صادرها المشركون بعد هجرتهم، واشتملت على الأمر بإنفاق المال في وجوه الخير التي ترضي ربهم، وأمرتهم بتقوى الله، والسمع له والطاعة فيما أمر(ابن عاشو،2000، ج28/ص232)، وأراد وارتضى لعباده مما فيه لهم الخير والسعادة في الدارين.

دراسة الأنساق الواردة في سورة التغابن

المبحث الأول : النسق ذو المبتدأ المفرد والخبر المفرد .

مبتدأ (اسم مفرد) + خبر (اسم مفرد)

رصدنا هذا النسق في سورة التغابن في موضع واحد(الملحق رقم:1)، هو قوله تعالى: {...ذَلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ}(التغابن:9)، الوارد في قوله تعالى:{ يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صلحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنت تجري من تحتها الأنهر خلدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم}(سورة التغابن:9).

مبتدأ(اسم مفرد)+خبر(اسم مفرد)+نعت

قال المعربون فيه إنّ{ذَلِكَ}مبتدأ, و{الفَوزُ}خبره, و{العَظِيمُ}نعت للخبر(صافي،1991، ج28/ص270، والإبراهيم 2006،ص556، والدرويش، 2003، ج7/ص540، والأهدلي، 2006، ج6/ص385، وصالح2010، ج6/ص365، والشوكاني، 1994، ج5/ص234)، أمّا في إعرابه التفصيلي، فقالوا: إنّ (ذا) اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، و(الكاف) حرف خطاب(ناجي، 2013، ج10/ص66)، أي إنّ المبتدأ هو اسم الإشارة (ذا) وحده يمثل الركن الأول لهذا النسق، والإشارة فيه- قال المفسرون-إلى((ما ذكر من التكفير و الإدخال))(الآلوسي،2000، ج27/ص442، والدرويش ، 2003ج7/ص540، وصافي، 1991، ج28/ص270)، والأولى أن يقال: إنّ الإشارة فيه إلى{الفَوزُ}المذكور في النسق الذي يراد به التكفير عن السيئات، ودخول الجنات، والخلود فيها, فدخول الجنات ليس فوزاً كاملاً إذا لم يتّصف بالخلود، وهذا في قوله تعالى الذي ذكر قبل هذا النسق وهو{...وَمَن يُؤمِن بِاللهِ وَيعمَلْ صَـلِحَاً يُكَفِّرْ عَنهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدخِلهُ جَنَّـتٍ تَجرِي مِن تَحتِهَا الأَنَهَـرُ خَـلِدِينَ فِيهَآ أَبَدَاً ذَلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ} (التغابن:9)، فالإشارة كانت إلى{الفوز}الذي هو جزاء الإيمان والعمل الصا ويحتمل كذلك أن تكون الإشارة إلى كل ما تقدم، أي إلى الإيمان والعمل الصالح وجزائه من تكفير السيئات والإدخال في الجنات والخلود فيها . و(اللام) قيل: هو للبعد، ويُراد به يوم{الفَوزُ}بعد الحساب والنجاة من العذاب فهو لم يأتِ بعد ومجهول زمنه، لذلك عبّر عنه بلام البعد، أو أنّه يراد به ذات الفوز الذي لم يأت يومه بعد فهو في حكم الغيبيات، وكل ما غاب عنّا فهو بعيد عنّا.و(الكاف)خوطب به كل مكلّف، دلّ على ذلك عموم الخطاب في قوله تعالى:{فَئَامِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ...}(التغابن:8)،وقوله تعالى:{يَومَ يَجمَعُكُم لِيومِ الجَمعِ...}.ويُؤتى بالمسند إليه اسم إشارة أو معرف باسم الإشارة إذا تعين طريقاً لإحضار المشار إليه في ذهن السامع، أو المخاطب، وله أغراض بيانية أخرى كثيرة (الهاشمي، 2008،ص 140-142) أنسبها هنا هو بيان حال المشار إليه في البعد، أو تعظيم درجته بالبعد وكلاهما محتمل في هذا النسق.

والركن الثاني من هذا النسق الاسمي هو{الفَوزُ}المشار إليه بالركن الأول.

والفوز: في اللغة النجاة والظفر بالأمنية والخير، يقال: فاز فلان به فوزاً و مفازاً ومفازةً، أو هو الظفر بالخير والنجاة من الشرّ، يقال: فاز فلان بالخير، وفاز من العذاب، ولذلك سميت المهلكة فوزا تفاؤلا بالسلامة والفوز(ابن منظور،1414هـ،مادة فوز)، ولذلك جعلوها من الأضداد، والمعنى الأول هو المراد هنا. و جيء به معرفا؛ لأنّه مصرح به مفسر سلفا معروف للمخاطب ومحدد. و جيء

به مفسراً غير متعدد بتعدد دخول الجنات؛ لأنّ العبد في الآخرة أمام طريقين لا ثالث لهما، إمّا فائز فناج من العذاب، وإمّا خاسر فهالك في العذاب، فسميت نجاته من العذاب فوزاً وإن تعددت جناته؛ وقد يكون المراد بالإفراد في{الْفَوْزُ}{الْخُلُودُ}المذكور قبله، في قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}؛ ففيه إشارة إلى أنّ دخول الجنات قد لا يكون فوزاً كما أسلفنا، أو لا يسمى فوزاً إذا لم يتصف بالخلود؛ ثم وصف هذا الفوز بـ{الْعَظِيمُ}؛ لأنّه الفوز((الذي لا فوز وراءه لانطوائه على النجاة من أعظم المهلكات والظفر بأجّل الطلبات))(الآلوسي، 2000، ج27/ص442)، أو هو((الظفر الذي لا يساويه ظفر))(الشوكاني،1994، ج5/ص234)، أو((هو الفوز الذي لا فوز وراءه و السعادة التي لا سعادة بعدها))(الصابوني، 2009، ج3/ص1346)، ولذلك وصف بـ{الْعَظِيمُ}.أمّا وظيفة النسق: فقد قال النحويون: هو جملة معترضة(صافي، 1991، ج28/ص271، والإبراهيم 2006،ص556، وناجي،2013، ج10/ص67)، وظيفتها التوضيح والتبيين. والبيانيون قالوا: هي تذييل لما تقدم (ابن عاشور،2000، ج28/ص249)، والتذييل عند البلاغيين ((هو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها بعد إتمام الكلام، لإفادة التوكيد، وتقريراً لحقيقة الكلام، وهو معدود من ضروب الإطناب))(طبانة، 1997، ص236)، وعليه فالجملة تؤول إلى التوكيد لما تقدمها .

المبحث الثاني: النسق ذو المبتدأ المفرد والخبر المفرد المسبوق بشبه جملة ، جار ومجرور .

مبتدأ(اسم مفرد)+ جار ومجرور+ خبر(اسم مفرد)

ورد هذا النسق في سورة التغابن مرّة واحدة(الملحق رقم:2)، في قوله تعالى:{وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ}، الوارد في قوله تعالى: { زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُم وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ}(التغابن:7) . قال المعربون فيه إنّ{ذَلِكَ}مبتدأ، و{عَلَى اللهِ} شبه جملة جار ومجرور متعلقان بـ{يَسِيرٌ}، و{يَسِيرٌ}خبر للمبتدأ{ذَلِكَ}مرفوع(صافي، 1991 ج28/ص268، والأهدلي ، 2006، ج6/ص385، والإبراهيم، 2006، ص556، وصالح،2010،ج6/ص364، والدرويش 2003، ج28/ص539، وناجي، 2013، ج10/ص64)، فالركن الأول في هذه الجملة هو{ذَلِكَ}، وقد مرّ تفصيله في النسق الآنف الذكر، و الإشارة فيه قالوا: إلى البعث والحساب السابق له في الذكر(الدرويش،2003، ج28/ص539)، واستخدم فيه لام البعد؛ لأنّ البعث والحساب من الغيبيات، وكل ما غاب عنا فهو في حكم البعيد، أو تنزيلا للبعيد عن العيان منزلة البعيد عن المكان، وأساليب((التعريف بأسماء الإشارة كثيرة حسب معانيها وخصائصها التركيبية التي تدلّ عليها، فضلاً عن دلالاتها النحويّة، وهناك أغراض بلاغيّة عدّة وراء هذا النوع من التعريف ، من هذه الأغراض: التعظيم، والتقريب، والتمييز، والتعريض بالمخاطب ، والتحقير...إلى غير ذلك من الأغراض))(البرزنجي،2014،ص198)، وكذلك أغراض تعريف المسند إليه باسم الإشارة عند البيان كثيرة(الهاشمي، 2008، ص140-142)، أقربها هنا هو إحضار المشار إليه في ذهن السامع لكي يكون كأنّه حاضر محسوس، وكذلك لبيان حاله في البعد وتعظيم منزلته، ويحتمل أن يكون تعريضاً بغباوة المخاطب؛ لأنّه لا يفهم غير المحسوس؛ ولأنّه لم يتأمل خلق الله وقدرته على الفناء و الإيجاد بعد العدم. وشبه الجملة{عَلَى اللهِ}متعلقة بالخبر{يَسِيرٌ}، وقدّمت على الخبر للتعظيم (صالح،2010، ج6/ص364)، أي إنّ الله تعالى بعظمته لا يصعب عليه أمر سهل كالبعث؛ لأنّ البدء أصعب منه، والبعث أهون عليه, كقوله تعالى:{وَهُوَ الذِى يَبدَأُ الخَلقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهوَنُ عَلَيهِ}(سورة الروم:27)، ولذلك أخبر عنه بـ{يَسِيرٌ}، وهو الركن الثاني لنسقنا هذا؛ لأنّ الكلام لردّ إحالتهم حصول البعث بعلة أنّ أجزاء الجسد تفرقّت فيتعذر جمعها فذُكّروا بأنّ العسير في متعارف الناس لا يعسر على الله, وقد قال تعالى في آية أخرى(ابن عاشور،2000، ج28/ص244):{وَهُوَ الذِى يَبدَأُ الخَلقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهَوَ أَهوَنُ عَلَيهِ}(سورة الروم:27)، أي((سهل لا يصرفه عنه صارف))(صالح2013، ج6/ص364)؛واليسير عند أهل اللغة السهل(الفيروزآبادي، 2005، فصل الياء)، واليسير كأمير القليل، واليسير الهيّن، يقال: شيء يسير أي هيّن، أو قليل(الزبيدي،

د.ت، مادة يسر)، والمعنى: ((إنّ أمر البعث على الله يسير))(الرازي، 2009، ج15/ص22)، على احتمال أن يكون الخبر مقدرا، و(يَسِيرٌ) صفة له، والخبر اسمٌ مفردٌ مضافٌ، هو (أَمرُ اللهِ)؛ فيكون نسقه العميق كا

مبتدأ(اسم مفرد/اسم إشارة)+خبر(مقدر/اسم مضاف)+ صفة .

ويحتمل أن يكون الخبر مقدراً اسما مفرداً هو(البعث)، أو(البعث والحساب، أو البعث والجزاء)؛ لأنّه لا يمكن الاستغناء عنه في المعنى و به يستقيم معنى الجملة، و به فسّرها أكثر المفسرين والمعربين(الآلوسي،2000، ج27/ص44، والشوكاني، 1994، ج5/ص234، والدرويش، 2003، ج 28/ص539، والصابوني، 2009،ج3/ص1345، وصافي،1991، ج28/ص268)؛ لأنّ الإعراب والمعنى متلازمان والإعراب إنّما جاء لكشف المعنى؛ ولأنّ مدار الكلام عليه وعلى إنكاره ويسره عند الله تعالى، ف(البعث)خبرٌ للمبتدأ اسم الإشارة{ذَلِكَ}، و{يَسِيرٌ} صفته، فيكون نسقه العميق الآخر كا

مبتدأ (اسم مفرد/اسم إشارة) + خبر(مقدر/اسم مفرد) + صفة .

ويحتمل أن يكون المحذوف بدلاً من اسم الإشارة بدلالة ما تقدم، وتقديره(ذلك البعث على الله يسير)، فالبعث بدل من اسم الإشارة{ذَلِكَ}، ونسقه العميق الآخر كا

مبتدأ (اسم مفرد/اسم إشارة) + بدل (مقدر) + خبر(اسم مفرد) .

ومن خلال هذه التقديرات ندرك أن الحذف يعين على التحام أجزاء الجملة، ويوثق صلتها بدلالاتها التركيبية؛ لأنّ الحذف في الجملة ينشط خيال المتلقي ويدفعه إلى عمق التفكير في ما يسمع؛ لأنّ الحذف لا بدّ له من دليل يؤيده، لذا على المتلقي أن يعمل فكره للبحث عن الدليل ليكمل أجزاء الجملة، وليكتمل الكلام ويعضده بمزايا تجعله أكثر قوة وتماسكاً وتجعله أكثر تأثيراً، وبهذه التقديرات تنتقل الجملة من السطح إلى العمق، والمعنى: إنّ الكافرين((أنكروا البعث بعد أن صاروا ترابا فأخبر أنّ إعادتهم أهون في العقول من إنشائهم))(الرازي، 2009، ج15/ص22)، وجيء بالجملة الاسمية للدلالة على ثبات ذلك الأمر وثبات حكمه تعالى؛ والجملة استئنافية(صافي، 1991، ج28/ص268، وصالح،2010، ج6/ص364، والابراهيم، 2006، ص556، وناجي، 2013، ج10/ص64)، أي إنّها منفصلة صناعيّاً أو نحويّاً عمّا سبقها؛ وقيل: اعتراضية (ابن عاشور،2000، ج28/ص244)، وقال البيانيون: هي تذييل لما سبق من كلام(ابن عاشور،2000، ج28/ص244)، ويؤتى بالتذييل لتأكيد الجملة السابقة؛ لأنّ التذييل نوع من التأكيد كما أسلفنا.

المبحث الثالث: النسق ذو المبتدأ المفرد والخبر المفرد المسبوق بشبه جملة، جار ومجرور مضاف.

مبتدأ(اسم مفرد/ضمير بارز منفصل)+ جار ومجرور+ مضاف إليه+ خبر(اسم مفرد).

ورد هذا النسق مرّة واحدة(الملحق رقم:3) في سورة التغابن في قوله تعالى: {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ}، الوارد في قوله تعالى:{يُسَبِّحُ لِلهِ مَا فِي السَّمَوَتِ وَمَا فِي الأرضِ لَهُ المُلكُ وَلَهُ الحَمدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ}(التغابن:1).

سياق الآية الوارد فيه النسق سياق تنزيه لله وتعظيم لذاته العلية، وإقرار بعظمته وملكه، ثم الثناء عليه بالحمد، ثم الإقرار بقدرته المطلقة؛ ونسقنا هذا اختص بالغرض الأخير من الآية، وهو الإقرار بقدرة الله تعالى المطلقة في ملكه .فالركن الأول فيه هو الضمير البارز المنفصل{هُوَ}المبني على الفتح، في محل رفع مبتدأ. ويؤتى بالمسند إليه ضميراً لأغراض كثيرة عند البيانيين(الهاشمي ،2008،ص137-138، والبرزنجي،2014،ص196)، أنسبها هنا هو لكون الحديث في مقام الغيبة, ولكون المسند إليه مذكوراً سلفاً, أي قد تقدم ذكره لفظا في سياقه فلا حاجة لإعادة اسمه، فالغرض من ذكر ضمير الغيبة هو لربط أجزاء الكلام بعضها ببعض دون تكرار للأسماء المتحدث عنها، أي لدفع سآمة التكرار.

و{عَلَى كُلِّ شَيءٍ}جار ومجرور شبه جملة, و{شَيءٍ}مضاف إلى(كُلِّ)،وأصل الجملة: هو قدير على كل شيء، قدمت شبه الجملة للتشويق إلى معرفة المسند، والإضافة أفادت العموم والشمول، والتعظيم، ودلالة العموم أو الشمول اكتسبت من المضاف{كُلِّ}؛ لأنّ (كل) في العربية من ألفاظ العموم، وكذلك من المضاف إليه{شَيءٍ}، لأنّ(شيء) في العربية تفيد العموم كذلك فهي كلمة مذكرة في لفظها عامة في معناها، وباجتماعهما دلّا على العموم والشمول، أي إنّ الله تعالى قدير على كل شيء مما يخطر ببالكم ومما لا يخطر .

و{قَدِيرٌ}من صفات الله عز وجل، وهو من القدرة، وهو على وزن(فعيل)، وهو يفيد المبالغة في القدرة (ابن منظو،1414هـ،مادة قدر)، وعليه فجملة{هُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ}، تفيد العموم في معناها ويراد بها التنبيه (ابن عطية،2007،ج5/ص317)، وهي معطوفة على جملة{ لَهُ المُلكُ} الاستئنافية (ناجي،2013،ج10/ص59)، وعليه فلا محل لها من الإعراب؛ لأنّها تبع لها في الإعراب .

المبحث الرابع: النسق ذو المبتدأ المفرد والخبر المفرد المسبوق باسم موصول مجرور .

مبتدأ(اسم مفرد)+شبه جملة جار ومجرور/اسم موصول+ جملة الصلة + خبر(اسم مفرد).

ورد هذا النسق في سورة التغابن في موضعين (الملحق رقم:4): الأوّل قوله تعالى:{وَاللهُ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرٌ}(التغابن:2)، والثاني قول تعالى:{وَاللهُ بِمَا تَعمَلُونَ خَبِيرٌ}(التغابن:8) .

فأمّا الجملة الأولى فالواو فيها عاطفة، ولفظ الجلالة فيها{اللهُ} مبتدأ، و{بِمَا}جار ومجرور، والمجرور اسم موصول، و{تَعمَلُونَ}جملة فعلية لا محل لها من الإعراب صلة الموصول، و{بَصِيرٌ}خبر المبتدأ{الله}؛ وسياق هذه الآية هو سياق إخبار وإقرار بعائدية الخلق والإيجاد لله تعالى، ثم الإخبار بانقسام الخلق إلى قسمين, قسم كافر بالله, وقسم مؤمن به, ثم الإخبار بعلم الله تعالى المطلق بعمل عباده؛ لأنّه تعالى بصير بهم وبأعمالهم؛ لأنّ مَن أبصر عبادة فقد عَلِم بأحوالهم, وهذا في قوله تعالى:{هُوَ الذِي خَلَقَكُم فَمِنكُم كَافِرٌ وَمِنكُم مُؤمِنٌ وَاللهُ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرٌ}, ونسقنا المعنيّ بالدراسة هنا اختص بالإخبار بعلم الله تعالى وبإبصاره بأعمال خلقه كافرهم ومؤمنهم . وإعرابه أي قوله تعالى:{وَاللهُ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرٌ}، الواو عاطفة عطفت جملة على جملة وإخبار على إخبار، ولفظ الجلالة{الله}مثّل الركن الأول لهذه الجملة، فهو مبتدأ مرفوع بالضمة، والمبتدأ هنا جاء على الأصل؛ لأنّ((حق المسند إليه أن يكون معرفة؛ لأنّه المحكوم عليه الذي ينبغي أن يكون معلوما ليكن الحكم مفيدا))(الهاشمي، 2008،ص137)، وفوائد تعريف المسند بالعَلَمِيّة وأغراضه كثيرة لكلّ منها مقامها، وأشهرها أن((يؤتى بالمسند إليه علماً لإحضار معناه في ذهن السامع ابتداء باسمه الخاص ليمتاز عمّا عداه))(الهاشمي، 2008،ص140)، والقصد منه التوضيح والتصريح ليعلم العبيد أنّ الله وحده من يعلم بأعمالهم الصالحة والطالحة سرّها وعلنها، ولكي لا ينصرف الذهن إلى غيره، أو يتوهم أنّ غيره يعلم ذلك، وليعلم الكافر أنّه كفر بعظيم، وليعلم المؤمن أنّه آمن بعظيم، وهو تعالى عالم بصير بأعمالهم، ولأجل هذه الفوائد جيء بالاسم مصرحاً، فهو يؤول إلى التعظيم، ولأجل هذه الفوائد و الأغراض جيء باسم الجلالة مصرحاً، وذكر اسم الجلالة هنا إظهار في مقام الإضمار فلو جيء بالضمير لاستقام مع ما قبله لكن جيء بالاسم ظاهراً لتكون الجملة مستقلة جارية مجرى المثل؛ ولأنّ الاسم الظاهر أقوى دلالة من الضمير لاستغنائه بنفسه وعدم حاجته لشيء يعود إليه ليوضح معناه، أي عدم حاجته لما قبله، وفيه تربية المهابة والعظمة في نفس السامع، ولاسيّما إذا كان المذكور والمصرح به هو لفظ الجلالة.

و{بِمَا}شبه جملة متعلقة بالخبر{بَصِيرٌ}، فالباء حرف جر، و(مَا) اسم موصول مجرور بمعنى (الذي)، و{تَعمَلُونَ} صلته، وهي جملة فعلية لا محل لها من الإعراب، والعائد محذوف، والتقدير: (تعملونه) (الأهدلي، 2006، ج6/ص383، والدرويش، 2003، ج28/ص535)، وقيل: إنّ(مَا) مصدرية وما بعدها في حكم المصدر في محل جر بالباء متعلق بالخبر{بَصِيرٌ}(صافي، 1991 ج28/ص264)، فعلى الرأي الأول يكون النسق كما ذكرنا آنفا، وعلى الرأي الثاني يكون النسق كالآتي:

مبتدأ(اسم مفرد صريح)+ حرف جر+ مصدر مؤول+ خبر(اسم مفرد صريح).

والإتيان بالاسم الموصول وصلته لإفادة العموم والشمول، فيكون المعنى إنّ الله بصير بكل أعمالكم الظاهرة، والباطنة، والصالحة، والطالحة. والركن الثاني{بَصِيرٌ}، وهو مشتق من الأصل الثلاثي(بَصَرَ)، (والبصر: حاسة الرؤية... والبصر: حِسّ العين والجمع أبصار وبصير: فَعِيل، بمعنى فاعل، والبصر: العلم، وبصرت بالشيء علمته...والبصير العالم، وهو الرؤية والمشاهدة)(ابن منظور،1414هـ مادة بصر)، و{بَصِيرٌ} على وزن(فَعِيل)صيغة مبالغة بمعنى(فاعل)، أي باص، أي إنّ الله تعالى يرى ويشاهد دقائق الأمور فلا يخفى منها عليه شيء، ولكن هذه الصيغة، أعني(بصير)أبلغ من صيغة اسم الفاعل (باصر)، (فالبصير أريد به العالم علم انكشاف لا يقبل الخفاء فهو كعلم المشاهدة، وهذا إطلاق شائع في القرآن، لاسيّما إذا أفردت صفة(بصير) بالذكر ولم تذكر معها صفة(سميع) (ابن عاشور، 2000، ج28/ص236) ، و(في أسماء الله تعالى البصير: هو الذي يشاهد الأشياء كلها ظاهرها وخافيها بغير جارحة، والبصر: عبارة في حقه عن الصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات) (ابن منظور،1414هـ، مادة بصر)، ويؤتى بالمسند اسماً صريحاً للتوضيح والتصريح والتعيين . وفي معنى الجملة قال الشوكاني: أي (لا تخفى عليه من ذلك خافية فهو مجازيكم بأعمالكم) (الشوكاني،1994، ج5/ص232)، وقال الرازي: (أي عالم بكفركم و إيمانكم اللذين من عملكم، والمعنى أنّه تعالى تفضل عليكم بأصل النّعم التي هي الخلق فانظروا النظر الصحيح وكونوا بأجمعكم عباداً شاكرين، فما فعلتم مع تمكنكم تفرقتم فرقاً فمنكم كافر ومنكم مؤمن)(الرازي، 2009، ج15/ص20)، وقيل: (أي عالم بأحوالكم مطّلع على إيمانكم لا تخفى عليه خافية من شؤونكم وسَيُجازيكم عليها)(الصابوني،2009،ج3/ص1344) . ووظيفة الجملة في النسق، قيل: معطوفة على الجملة التي قبلها{هُوَ الذِى}المستأنفة (الابراهيم، 556،2006، والدرويش، 2003، ج535/28، وناجي،2013، ج60/10)، فإذن الجملة لا محل لها من الإعراب (صافي، 1991، ج2/ص264)، وأهل البيان قالوا الجملة، أي{وَاللَّهُ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرٌ}تتميم واحتراس واستطراد فهو((تتميم لِمَا يُكمل المقصود من تقسيمهم إلى فريقين لإبداء الفرق بين الفريقين في الخير والشر، فهو عليم بذلك، وعليم بأنّه يقع وليس الله مغلوبا على وقوعه، ولكن حكمته وعلمه اقتضيا ذلك...واحتراس من أن يتوهم من تقسيمهم إلى فريقين أنّ ذلك رضى بالحالتين كما حكى عن المشركين{وَقَالُوا لَو شَاءَ الرَّحمَنُ مَا عَبَدنَـهُم ...}(الزخرف:20)، وهو استطراد بطريق الكناية به عن الوعد والوعيد)(ابن عاشور،2000،ج28/ص235-236) . والنسق الآخر المماثل لهذا التركيب هو قوله تعالى:{ وَاللَّهُ بِمَا تَعمَلُونَ خَبِيرٌ}(التغابن:8)، فهو كالنسق الآنف الذكر في تركيبه وقيمه البيانية إلّا في لفظة{خَبِيرٌ}، (وخبير عالم بالخبر، والخبير المخبر...والخبير العالم ...والخبير الذي يخبر الشيء بعلمه)(ابن منظور،1414،مادة خبر)، و(الخبير: من أسماء الله عزّ وجل العالم بما كان وما يكون، وخبرت بالأمر، أي علمته، وخبرت الأمر أخبره إذا عرفته على حقيقته...والخبر: بالتحريك واحد الأخبار، والخبر: ما أتاك من نبأ عمن تستخبر ...الخبر: النبأ، والجمع أخبار, وأخابير جمع الجمع)(ابن منظور،1414، مادة خبر) . فالخبير:(العليم، وجيء هنا بصفة الخبير دون البصير, لأنّ ما يعلمونه منه محسوسات ومنه غير محسوسات كالمعتقدات, ومنه الإيمان بالبعث فعلق بالوصف الدال على تعلّق العلم الآلهي بالموجودات كلها, بخلاف قوله في ما تقدم:{هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم فَمِنكُم كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرٌ}(التغابن:2)، فإنَّ لكفر الكافرين وإيمان المؤمنين آثاراً ظاهرة محسوسة فعلقت بالوصف الدال على تعلق العلم الآلهي بالمحسوسات)(ابن عاشور، 2000، ج28/ص245)، وعندنا وجه آخر هو إنّ هذه الجملة تشمل الأعمال الظاهرة و الباطنة فمنها محسوسة ومنها غير محسوسة، وتعلّق وصف{بَصِيرٌ}بالخلق وأعمالهم الظاهرة و الباطنة للدلالة على أنّ الله سبحانه وتعالى عليم بأعمال العبيد بصير بها كي يخلص المؤمن في إيمانه ولا يخاف على أعماله من الضياع فالله محصيها, ولكي يعلم الكافر أنّه كفر بعظيم عليم مطلع على أعمال الكفر فلا يلوم إلا نفسه يوم القيامة، وتعلق وصف{ خَبِير}بالنص الثاني؛ لأنّه تعالى ذكر قبله أنواعاً من

الكفر على مرّ الدهور فمنها الكفر بسبب الكبر{ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَأْتِيهِم رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا...}(سورة التغابن:6)، ومنها الكفر بالبعث{زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ...}(سورة التغابن:7)، وغيرها من أنواع الكفر وقد يكون للإخبار بعلم الله تعالى بنوايا العباد ودوافعهم التي كانت وراء أعمالهم التي عملوها في سرّهم وعلنهم، فهو تعالى بصير وخبير بها، وخبير بأنفسهم التي حوت أسرارهم ونواياهم ودوافعهم، إذ ليس كل بصير خبير وليس كل خبير بصير والله تعالى بصير خبير.

فناسب ذكر وصف{خَبِيرٌ}للدلالة على علمه تعالى بأخبار من سبق وإحاطته بها علماً، قال تعالى قبل هذا الوصف:{ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمرِهِمِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ*ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَأْتِيهِم رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَوا واستَغنَى اللهُ وَاللهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ* زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أن لَن يُبعَثُوا قُل بَلَى وَرَبِّي لَتُبعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَؤُنَّ بِمَا عَمِلتُم وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ*فَئامِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلنَا وَاللهُ بِمَا تَعمَلُونَ خَبِيرٌ}(التغابن:5-8)، فناسب أن يكون معناه: خبير بأعمالكم كما خبر أعمال من سبقكم، وهو يؤول إلى التهديد والوعيد، فكما عاقب من سبقكم على كفرهم فسيعاقبكم كذلك على كفركم وتكذيبكم كما عاقبهم، وسيجزي المؤمنين الذين صدقوا الله ورسوله، وجاءت هذه الجملة مستأنفة لتخبر أنّ الله تعالى(لا يخفى عليه شيء من أقوالكم و أفعالكم فهو مجازيكم على ذلك)(الشوكاني،1994،ج5/ص234)، أو هو خبير(بما تسرون وما تعلنون فراقبوه وخافوه في الحالتين جميعا)(الرازي،2009،ج15/ص230).

والوظيفة النحوية لهذه الجملة قيل: هي لا محل لها من الإعراب استئنافية (ناجي، 2013، ج10/ص65)، أي منفصلة صناعياً عن الجمل التي قبلها وجاءت بغرض جديد.

وأهل البيان منهم من جعلها تذييلا لجملة{فَئامِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ...}،فهو يقتضي وعداً لهم إن آمنوا، ووعيداً لهم إن لم يؤمنوا(ابن عاشور، 2000، ج28/ص245)، ومنهم من جعلها اعتراضاً في اعتراضٍ لتتمة الحثّ على الإيمان كقولنا: اعمل إنّي غير غافل عنك، وجعلها بعضهم بمعنى مجازيكم، ويتضمن أيضا الوعد والوعيد(الآلوسي،2000، ج27/ص441).

المبحث الخامس: النسق ذو المبتدأ المفرد والخبر المفرد المسبوق بشبه جملة/جار ومجرور مضاف.

مبتدأ (اسم مفرد / علم صريح) + شبه جملة (جار ومجرور) + مضاف إليه + خبر (اسم مفرد/ صريح).

ورد هذا النسق مرّة واحدة(الملحق رقم:5)، في سورة التغابن في قوله تعالى:{ وَاللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ}(التغابن:11)الوارد عقب قول تعالى:{مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذنِ اللهِ وَمَن يُؤمِن بِاللهِ يَهدِ قَلبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ}(التغابن:11) . فالواو استئنافية، أو حالية(صافي، 1991، ج28/ص272، والابراهيم، 2006، ص557)، ولفظ الجلالة{اللهُ}مبتدأ مرفوع، و{بِكُلِّ}شبه جملة جار ومجرور متعلقان بـ{عَلِيمٌ}، و{شَيءٍ}مضاف إلى{كُلِّ}، و{عَلِيمٌ}خبر للمبتدأ لفظ الجلالة{اللهُ}الدرويش، 2003 ج28/ص542، وصالح، 2010، ج6/ص366، والأهدلي، 2006، ج6/ص686).

ورد هذا النسق في سياق ابتلاء المؤمنين، وإصابة المصائب للعبيد، والإخبار أنّ هذه المصائب هي من عند الله تعالى وبإذنه، ثم الإخبار بأنّ من يؤمن بالله يهد قلبه للصبر والشكر على المصائب، أو يهديه على الاسترجاع، وهو يتضمن مفهوم المخالفة، أي ومن لم يؤمن لا يهد قلبه فلا يلهمه الصبر، أو الاسترجاع عند وقوع المصائب، ثم أعقب ذلك كله قوله تعالى:{وَاللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ}ليخبر تعالى: إنّ الله عليم بكل شيء؛ ومن هذه الأشياء((القلوب...وأحوالها...فيعلم إيمان المؤمن ويهدي قلبه عند إصابة المصيبة))(الآلوسي،2000، ج27/ص443)، وقيل في سبب نزول هذه الآية: ((إنّ الكفار قالوا: لو كان ما عليه المسلمون حقا لصانهم الله عن المصائب في الدنيا))(الشوكاني، 1994، ج5/ص235)، فاخبر تعالى أنّه{مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذنِ اللهِ...}(التغابن:11)، أي ما أصاب كل أحد من مصيبة من المصائب إلاّ بإذن الله، أي بقضائه وقدره، وقيل: إلّا بإذن الله، أي بأمر الله، وقيل: إلّا بعلم الله؛ ثم أخبر إنّ{مَن يُؤمِن بِاللهِ يَهدِ قَلبَهُ}، أي من يصدق ويعلم أنّه لا يصيبه إلا ما قدّره الله عليه يهد قلب

للصبر والرضا بالقضاء، أي يهد قلبه عند المصيبة، قال تعالى:{الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ*أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}(البقرة:156)، أي أن يصبر العبد عند الابتلاء، ويشكر عند الإنعام عليه، وإذا ظُلِمَ غفر، ثم أعقب ذلك كله بقوله تعالى:{وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}، أي(فيعلم إيمان المؤمن ويهدي قلبه عند إصابة المصيبة)(الآلوسي،2000،ج27/ص443).

وتعريف المسند إليه هنا بالعلميّة{اللهُ}لإحضار معناه وهيبته في ذهن السامع ابتداء باسمه الخاص تعالى ليمتاز عمّا عداه ممن يعلمون من ظاهر الأشياء دون باطنها، ولكي لا ينصرف الذهن بالتأويلات إلى سواه تعالى إذ لا يعلم ظواهر الأمور وبواطنها- والمعبر بها هنا بـ{بِكُلِّ شَيْءٍ}- إلّا الله تعالى .

و(كل)عند أهل اللغة من ألفاظ العموم، وعليه فالإضافة أفادت العموم، أي((هو تعالى عالم بكل الأشياء، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء) (الصابوني، 2009، ج3/ص1346)، ولذلك قال ابن عطية: هي(عموم مطلق على ظاهره) (ابن عطية، 2007، ج5/ص32)، أي لا تخفى على الله خافية من مخلوقاته، وتقديم شبه الجملة وما أضيف إليها للتشويق إلى الخبر كما هو مستشعر من النسق .

و{عَلِيمٌ}على وزن(فَعِيلٌ)من صيغ المبالغة، وهي أبلغ من اسم الفاعل(عالم) لذلك فسّر الشوكاني هذه الجملة بقوله: (أي بليغ العلم لا تخفى عليه من ذلك خافية)(الشوكاني، 1994، ج5/ص235) .

وجملة{وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}، قيل: متعلقة بقوله تعالى السابق عليها{وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ}، وقيل: متعلقة بقوله سبحانه وتعالى:{ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}، على إنّها تذييل له للتقرير والتأكيد(الآلوسي،2000، ج27/ص443)، وجعلها ابن عاشور تذييلاً لما تقدمها بقوله:هي((تذييل للجملة التي قبلها وارد على مراعاة جميع ما تضمنته من المصائب بإذن الله، ومن إنّ الله يهدي قلوب المؤمنين للثبات عند حلول المصائب، ومن الأمر بالثبات والصبر عند المصائب، أي يعلم جميع ذلك))(ابن عاشور،2000، ج28/ص251)، ثم قال: ((وفيه كناية عن مجازاة الصابرين بالثواب؛ لأنّ فائدة علم الله التي تهم الناس هو التخلق ورجاء الثواب ورفع الدرجات))(ابن عاشور، 2000، ج28/ص251) . أمّا في إعرابها فمنهم من قال: هي في محل نصب حال من فاعل يهدي في قوله تعالى(صافي، 1991، ج28/ص272، والابراهيم، 2006، ص557):{وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ}، ومنهم من ذهب إلى إنّها مستأنفة (صالح،2010، ج6/ص366، وناجي، 2013، ج10/ص68)، لا محل لها من الإعراب منفصلة صناعياً، وجاءت بغرض جديد يقضي بإحاطة علم الله تعالى بكل شيء، وقد جاء هذا الغرض متصلاً معنوياً بِمَا سبقه وتذييلاً لـ والمعنى لا يخفى على الله تعالى تسليم من انقاد وسلّم لأمره و لا كراهة من كرهه ولم يرض بقضائه (الطبري،2000،ج18/ص140، والصابوني، 2009، ج3/ص1346)، ومنهم من جوّز احتمال الأمرين، أي الاستئناف والحال(صافي، 1991، ج28/ص272، والابراهيم، 2006، ص557)، والاستئناف أظهر إذ الانفصال الصناعي ظاهر في الجملة، إذ استؤنفت هذه الجملة لتقرير إحاطة علم الله تعالى بكل شيء من مخلوقاته في السماوات والأرض؛ ولأنّ الكلام السابق لها مسوق للإخبار عن خلق المؤمنين وكيفية هداية قلوبهم عند المصائب فالجملة السابقة اختصت بالخلق واللاحقة بالخالق وشتان بين الاثنين لذلك فالاستئناف أظهر.

المبحث السادس: النسق ذو المبتدأ المفرد والخبر المفرد المتبوع بشبه جملة/جار ومجرور مضاف.

مبتدأ(اسم مفرد/علم صريح) +خبر(اسم مفرد) +جار ومجرور مضاف.

ورد هذا النسق مرّة واحدة(الملحق رقم:6)في سورة التغابن في قوله تعالى:{...وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}(التغابن:4)، الوارد في قوله تعالى:{يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ وَيَعلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعلِنُونَ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}(التغابن:4).

{اللهُ}لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع، و{عَلِيمٌ}خبر مرفوع، و{بِذَاتِ} شبه جملة جار ومجرور متعلقان بـــ{عَلِيمٌ}، و{الصُّدُورِ}مضاف إلى{ذَاتِ}فهو مجرور بالإضافة (الأهدلي، 2006، ج6/ص684، والابراهيم، 2006،ص556) . ورد هذا النسق في سياق الإخبار عن علمه تعالى بما خلق، والتدرج في ذلك من السعة إلى الضيق، ومن الجهر إلى السِّر، قال أبو حيان في تفسيره لهذه الآية:((نبَّه تعالى بعلمه بما في السماوات و الأرض، ثم بعلمه بما يخفيه العباد، وما يعلنونه، ثم بعلمه ما أكنته الصدور، على أنّه تعالى لا يغيب عن علمه شيء، لا من الكليّات و لا من الجزئيّات، فابتدأ بالعلم الشامل، ثم بسرّ العباد و علانيتهم ثم بما تنطوي عليه صدورهم، وهذا كلّه في معنى الوعيد، إذ هو الله تعالى المجازي عليه بالثواب والعقاب)(الرازي،2009،ج8/ص277)، وقال الرازي في تفسيره: نبّه بعلمه ما في السماوات والأرض، ثم ما يُسِره العباد وما يعلنونه، ثم بعلمه ما في الصدور من الكليات والجزئيات على أنّه لا يخفى عليه لما أنّه تعالى لا يعزب عن علمه مثقال ذرّة البتة أزلاً وأبداً(الرازي،2009،ج15/ص21)، وقال الشوكاني في قوله تعالى:{وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}، ((هذه الجملة مقررة لما قبلها من شمول علمه لكل معلوم وهي تذييلية) (الشوكاني، 1994 ج5/ص233)، وقال الآلوسي: هي(اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرّهم وعلنهم، أي هو عزّ وجلَّ مُحيط بجميع المضمرات المستكنّة في صدور الناس...فكيف يخفى عليه تعالى ما يسرونه وما يعلنونه)(الآلوسي،2000،ج27/ص239)، ومعناه، أي عالم بما في الصدور من الأسرار والخفايا، فكيف تخفى عليه أعمالكم الظاهرة (الصابوني، 2009، ج3/ص1345) . وجيء بالمسند إليه هنا علماً ظاهراً لإحضار معناه أو هيبته في ذهن السامع، ولإحضار عظمته ابتداء باسمه الخاص ليمتاز عمّن عداه؛ ولأنّه قدّر في الجمل الفعلية السابقة، أو جيء به مُضمراً فجيء به هنا مصرحاً به لكي لا يتوهم واهمٌ بأنّ أحداً غير الله يتصف بهذه الصفة، قال الآلوسي: (وإظهار لفظ الجلالة للإشعار بعلة الحكم و تأكيد استقلال الجملة)(الآلوسي، 2000، ج27/ص239) . و{عَلِيمٌ}على وزن(فَعِيل)، وهو صيغة مبالغة، وهو أبلغ من(عالم)،كما قدمنا، لذلك جيء به هنا للإخبار بإحاطة علم الله تعالى بظواهر الأمور وبواطنها، وقدم{عَلِيمٌ}على{بِذَاتِ الصُّدُورِ} للاهتمام بصفة العلم قبل تحديدها، وقبل قصرها بشيء معين، وللإشارة إلى علمه بما ذكر قبلها، ثم خصص بـ{بِذَاتِ الصُّدُورِ}، أي إنّه إذا كان عالماً بخفايا الصدور فالأولى والأيسر معرفته بظواهر الأمور. و{ذَاتِ الصُّدُورِ}صفة الموصوف تنزَّلت منزلة موصُوفِها، أي صاحبات الصدور، أي المكنونة فيها، والتقدير: بنوايا وخواطر ذا الصدور، كقوله تعالى(ابن عاشور،2000، ج28/ص239): {وَحَمَلنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلوَاحٍ...}(القمر:13)، وعليه يكون النسق بهذا الشكل:

مبتدأ(اسم مفرد/علم صريح)+ خبر(اسم صريح)+موصوف(مقدر) + صفة(شبه جملة /جار ومجرور).

وأرى أنّه لو صَحَّ التقدير لقدّرنا(بأسرار أو بخفايا)، لأنّ{بِذَاتِ الصُّدُورِ}تعني القلوب، فيكون المعنى: عليم بأسرار أو خفايا القلوب وهذا التقدير يتوافق مع ما ذيّلت به الجملة، وهي جملة {وَيَعلَمُ مَا تُسِرُّونَ}، والأَولى عدم التقدير أو القول بالحذف؛ لأنّ النسق واضح المعنى، والمقصود إنّ الله عليم بالصدور ذاتها، وبما تحويه من أسرار ونوايا وخفايا، فالله تعالى عليم بهذا الوعاء المسمى(الصدر) وما يحويه من أسرار ونوايا وخفايا.وقيل في إعراب هذه الجملة: إنّها معطوفة على الجملة الاستئنافية(صافي:265/28 ، ناجي، 2013، ج10/ص61)،{يَعلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ}، وعليه فالجملة لا محل لها من الإعراب؛ لأنّها تابعة لها في الإعراب، وقال الآلوسي هي معترضة (الآلوسي،2000،ج27/ص439) .أمّا البيانيون فقالوا: هي تذييل (الشوكاني، 1994،ج5/ص233 وابن عاشور،2000، ج28/ص239) لشمولها ما سبق، و قال ابن عاشور: ((وجملة :{وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}تذييل لجملة{وَيَعلَمُ مَا تُسِرُّونَ}؛ لأنّه يعلم ما يسرّه جميع الناس من المخاطبين وغيرهم))(ابن عاشور،2000، ج28/ص239

والمخاطبون ابتداءً هم المشـركون في مكة على الراجح، وذلك قبل ظهور المنافقين، ولذلك لم يذكر تعالى أنّه عليم بأعمال الجوارح(ابن عاشور،2000، ج28/ص239) . وقد جمع الآلوسي بين الاعتراض والتذييل بقوله: ((اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرّهم وعلنهم، أي هو عزّ وجلّ محيط بجميع المضمرات المستكنّة في صدور الناس ...فكيف يخفى عليه تعالى ما يسرّونه وما يعلنونه)) (الآلوسي،2000، ج27/ص439)، وجيء بهذا النسق الاسمي للإخبار بثبوت هذه الصفة لله تعالى .

المبحث السابع: النسق ذو المبتدأ المفرد والخبر المحتمل للإفراد والتركيب.

مبتدأ(اسم مفرد/إشارة)+ ضمير فصل+ خبر(اسم مفرد)أو خبر(جملة اسمية)

ورد هذا النسـق مرّة واحدة(الملحق رقم:7)، في هذه السـورة في قوله تعالى:{فَأُولَئِكَ هُمُ المفلِحُونَ}(التغابن:16)، بعد قول تعالى:{فَاتَّقُوا اللهَ مَا استَطَعتُم وَاسمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيراً لِأَنفُسِكُم وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المفلِحُونَ}(التغابن:16) . {أُولَئِكَ}مبتدأ، و{هُمُ}ضـمير فصـل، و{المفلِحُونَ}خبر، ويجوز أن يكون{أُولَئِكَ}مبتدأ، و{هُمُ} ضـميرا منفصـلا، مبتدأ ثانيا خـبره{المـفـلِـحُـونَ}، والجـمـلـة الاسـمـيـة{هُـمُ المـفـلِـحُـونَ}خـبر للمبتدأ{أُولَئِكَ}(الدرويش،2003،ج28/ص543،الابراهيم،2006،ص557) .

جاء هذا النسـق الاسمي خاتمة لجملة من الأوامر الإلهية التي فيها صـالح الإنسـان في الدنيا، وفيها خلاصـه في الآخرة إن التزم بها, و(الخطاب للمؤمنين)(ابن عاشـور،2000، ج28/259)، والمعنى: أي ابذلوا أيّها المؤمنون في طاعة الله تعالى جهدكم وطاقتكم ولا تكلفوا أنفسكم مالا تستطيعون، قال المفسرون: هذا في النوافل و المأمورات وفضائل الأعمال، يأتي الإنسان منها بقدر طاقته، و أمّا في المحظورات فلابد من اجتنابها بالكليّة، ويدلّ عليه ما روي عن النبي محمد(صـلى الله عليه وآله وسـلم)أنّه قال:((...فَإذَا نَهَيتُكُم عَن شَـيءٍ فَاجتَنِبُوه، وَإذَا أَمَرتُكُم بِأَمرٍ فَأتُوا مِنهُ مَا اسـتَطَعتُم))(البخاري،2422هــ، ج9/ص94-95 ، برقم: 7288)، فابتدأ الأمر-في الآية الكريمة - بالتقوى، وثنى بالأمر بالسـمع، وثلث بالأمر بالطاعة، وربّع بالأمر بالإنفاق، وخمّس بالبشـرى بالفلاح لمن اجتنب شُحّ نفسه، أي بخلها، والمعنى: أي اتقوا ((جهدكم ووسعكم، أي ابذلوا فيها استطاعتكم، واسمعوا ما توعظون به وأطيعوا فيما تؤمرون به وتنهون عنه، وأنفِقُوا في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها)) (الزمخشـري، 2009، ج4/ص538)، أي وأنفقوا في سبيل الله من أموالكم، يكن خيراً لأنفسكم {وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المفلِحُونَ}، أي و من سلم من البخل والطمع الذي تدعو إليه النفس، فقد فاز بكل مطلوب (الصابوني،2009، ج3/ص1347), وهي دعوة لتقوى الله تعالى، ويكون ذلك بالسـمع والطاعة والامتثال لأوامره تعالى، وتنقية النفس البشرية من البخل فهو صفة ذميمة تبعد الإنسان عن ربّه وعن نبيّه وعن المؤمن .

ووظيفة هذه الجملة هي أنّها في محل جزم جواب الشـرط مقترنة بالفاء (صـافي، 1992، ج28/ص276، وناجي، 2013، ج10/ص72، والابراهيم، 2006، ص557)، وعليه فهي جزء من جملة شـرطية مركبة من شـرط وجواب، وقد مثلت هذه الجملة الجزء الثاني منهما، أي جواب الشرط .

المبحث الثامن: النسق ذو المبتدأ المفرد والخبر المفرد لمضاف

مبتدأ(اسم مفرد/اسم إشارة) + خبر (اسم مفرد مضاف).

ورد هذا النسـق الاسمي في سـورة التغابن في موضـعين(الملحق رقم:8)، أحدهما قوله تعالى:{ذلك يوم التغابن}، الوارد في قوله تعالى:{يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن...}(سورة التغابن:9).

قال المعربون:{ذلك}(ذا)اسـم إشـارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، و(اللام) حرف مبني يفيد البعد، و(الكاف) حرف مبني يفيد الخطاب، و{يوم }:خبر مرفوع بالضـمة، و{التغابن} مضـاف إليه مجرور بالكسـرة(ناجي:66/10، والأهدلي:385/6،

وصالح،2010،ج6/ص365). سياق هذه الجملة سياق حديث عن يوم القيامة الذي سيجمع فيه الخلق فيجازون على أعمالهم فمنهم السعيد الذي اختار طريق الإيمان، ومنهم الشقي الذي اختار طريق الكفر قال تعالى في ذلك :{يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بئاياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير }(سورة التغابن:9).

وقد جيء بالمسند إليه اسم إشارة لإحضار المشار إليه–وهو يوم القيامة– في ذهن السامع لكي يكون كأنّه يراه حاضرا محسوسا، وجيء بلام البعد لإحضار ذلك اليوم في البعد، أي كأنّه مرئي من بعيد، ولتعظيم منزلته وهوله. وجيء بالمسند إليه{يوم}معرفا بالإضافة إلى{التغابن}لإفادة الوصف، أي إن هذا اليوم هو يوم تغابن أي يتغابن فيه الخلق، وهذا التغابن قد يكون بين اثنين، أي شخصين أو فريقين هما فريق الناجين وفريق الهالكين، وهذا مستفاد من معنى صيغة (التفاعل)، أو قد لا يكون بين اثنين كما في تبارك وتجاهل، أي بين الشخص ونفسه حسب توجيه معنى هذه الصيغة عند العلماء كما سنبينه لاحقا.

وأما لام التعريف في{التغابن}فهي لام الجنس، وفيها دلالة على استعظام ذلك اليوم وأن تغابنه هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في أمور الدنيا وإن جلت وعظمت هذه الأمور(الآلوسي، 2000، ج27/ص442). (وأفاد تعريف جزأي جملة{ذلك يوم التغابن}قصر المسند على المسند إليه، إي قصر جنس يوم التغابن على يوم الجمع المشار إليه باسم الإشارة، وهو من قبيل قصر الصفة على الموصوف قصرا ادعائيا، أي ذلك يوم الغبن لا أيام أسواقكم و لا غيرها، فإنّ عدم أهمية غبن الناس في الدنيا جعل غبن الدنيا كالعدم وجعل يوم القيامة منحصرا فيه جنس الغبن))(ابن عاشور،2000، ج28/ص248) . وأظهر جزأي الجملة المسند والمسند إليه للتوضيح والتعريف والتهويل، أي لتهويل أمر ذلك اليوم. ومن المعربين من قال: يجوز أن يكون{يوم}خبرا لمبتدأ محذوف تقديره(هو)، والجملة الاسمية (هو يوم التغابن)في محل رفع خبر{ذلك}(صالح،2010، ج6/ص365)، فيكون نسقه العميق كالآتي

مبتدأ (اسم مفرد /اسم إشارة) + خبر (جملة اسمية / محذوفة المبتدأ)

وفائدته هي إنّ الإخبار بالجملة الاسمية يكون أبلغ وأوكد من الإخبار بالمفرد، كما أن إضمار المبتدأ أو تقديره في جملة الخبر لإفادة تخصيص الإشارة إلى اليوم المذكور آنفا في الآية، أو أن التقدير يكون لربط أجزاء الجملة فيفيد كأنه مذكور سلفا، وكأن المعنى إن يوم الجمع هو يوم التغابن، وعليه قول ابن عطية: (ويوم الجمع هو يوم القيامة، وهو{يوم التغابن})(ابن عطية،2007، ج5/ص319). أمّا التغابن فهو على وزن تفاعل وأشهر معاني هذه الصيغة هو التشريك بين اثنين فأكثر، فيكون كلا منهما فاعلا في اللفظ مفعولا في المعنى (الحملاوي،2010،ص38)، (وحقيقة صيغة المفاعلة أن تدل على حصول الفعل الواحد من فاعلين فأكثر على وجه المشاركة في ذلك الفعل)) (ابن عاشور،2000، ج28/ص247)، فإذا كانت هنا على هذا المعنى فإنّها تفيد استعارة تمثيلية (الزمخشري،2009، ج4/ص536، والحلبي،1994، ج6/ص326، وصافي،1991، ج28/ص271)، حيث(شُبّهت حال الفريقين المتمكنين من اختيار ما يؤدي الى سعادة الآخرة، فاختار كل فريق ما يشتهيه مما كان قادرا عليه بدل ما اختاره الآخر وشبهه بحال المتبادلين بالتجارة، وشبه ما يتفرع عليه من نزول كل منهما منزلة الآخر بالتغابن؛ لأنّ التغابن تفاعل من الغبن، وهو أخذ الشيء من صاحبه بأقل من قيمته وهو لا يكون إلا في عقد المعاوضة، ولا معاوضة في الآخرة فإطلاق التغابن على ما يكون فيها إنّما هو بطريق الاستعارة التمثيلية)(الدرويش،2003،ج7/ص541)، وعبارة الزمخشري تومئ إلى ذلك: (التغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة، وهو أن يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الأشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء، ونزول الأشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء))(الزمخشري،2009، ج4/ص536)، ((فكأنّ أهل النار استبدلوا الخير بالشر والجيد بالرديء والنعيم بالعذاب، وأهل الجنة على العكس من ذلك))(الشوكاني،1994،ج5/ص234). وإذا كان هذا التغابن من واحد، أي ليس

بين اثنين—وهو اختيار ابن عطية(ابن عطية، 2007، ج5/ص319)-فهو يفيد التهكم، أي تهكم بالأشـــقياء؛ لأنّ نزولهم منازل العذاب ليس بغبن (الزمخشري،2009،ج4/ص536)، ومنه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم:((لا يدخل الجنة أحد إلا أُرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا، و لا يدخل أحد النار إلا أُرى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة))(البخاري، 1422هـــ، ج8/ص117، برقم:6569)، وحديثه صلى الله عليه و آله وسلم: ((...الناس غاديان: فمبتاع نفسه فمعتقها وبائع نفســه فموبقها))(الامام أحمد،2001، ج22/ص332، برقم:14441، وابن حبان، 1988، ج10/ص373، برقم:4514)، وهذا البيع يكون بين الشخص ونفسه، ومنه قوله تعالى:{ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله}(سورة البقرة:207)، وعلى عكسهم الكفار والمنافقين الذين قال عنهم تعالى:{أولـئـك الذين اشتروا الضلـلة بالهدى فما ربحت تجــرتهم وما كانوا مهتدين}(سورة البقرة:16)، وقوله تعالى:{الذين يشـــرون بعهد الله وإيمانهم ثمنا قليلا}(ســـورة آل عمران :77)، ويمكن حمل هذه الصـــيغة على حقيقتها؛ لأنّ حقيقة هذه التجارة تكون بين العبد وربه كما في قوله تعالى:{إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم}(سورة التوبة:111)، فقد يبيع العبد الدنيا ويشتري الآخرة، وقد يبيع الآخرة ويشتري الدنيا، فالعبد هو الغابن لنفسه على الحقيقة. وإذا لم يكن التغابن بين اثنين فإنّه يفيد مجازا مرسلا؛ لأنّ الغبن يؤول إلى خسارة البائع في بيعه فلذلك يطلق الغبن على مطلق الخسران مجازا مرسلا، وعليه ليست مادة التغابن هنا مستعملة في حقيقتها، إذ لا تعارض حتى يكون فيه غبن بل هو مستعمل في معنى الخسران على وجه المجاز المرسل(ابن عاشور،2000،ج28/ص247).

ومعنى الســـياق: إنّ يوم الجمع هو يوم القيـامـة وإنّ يوم القيـامـة هو يوم التغـابن(ابن عطيـة،2007، ج5/ص319، والشوكاني،1994،ج5/ص234)، والكلام تهديد للمشركين بسوء حالتهم في يوم الجمع، إذ المعنى: ذلك يوم غبنكم الكثير الشديد، بقرينة قوله تعالى:{فآمنوا بالله ورسـوله والنور الذي أنزلنا}(ســـورة التغابن:8)، والغابن لهم هو الله تعالى(ابن عاشـــور،2000، ج28/ص248)، ويحتمل أن يكون الغابن لهم أنفســهم الآمرة لهم بالســوء حســب توجيه الآية الأنفة الذكر. ووظيفة هذه الجملة النحويّة ، قالوا: مستأنفة استئنافا بيانيا(صافي،1991، ج28/ص270، والابراهيم، 2006،ص556)، بمعنى إنها جواب لسؤال مقدر، أي كأنّ ســائلا ســأل، ما هو{يوم التغابن}، فجاءت هذه الجملة جوابا له{ذلك يوم التغابن}، لذا فهي لا محل لها من الإعراب؛ لأنّها لم تحل محل مفرد.

المبحث التاسع: النسق ذو المبتدأ المفرد والخبر المتعدد

مبتدأ(اسم مفرد/علم)+خبر أول(اسم مفرد)+ خبر ثان(اسم مفرد)

ورد هذا النسق في موضعين من سورة التغابن(الملحق رقم:9)، أحدهما قوله تعالى:{...والله شكور حليم}، الوارد في قوله تعالى:{إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضعفه لكم والله شكور حليم* علم الغيب والشهـدة العزيز الحكيم}(سورة التغابن:17-18). قال المعربون: إنّ لفظ الجلالة{الله}مبتـدأ مرفوع، و{شـــكور}خبره مرفوع، و{عـــــــــلم}،و{العزيز}، و{الحليم}أخبـار للمبتـدأ لفظ الجلالة{الله}(صافي،1991،ج28/ص276).

سياق هذا النسق هو سياق حث على التصدق و الإنفاق في سبيل الله تعالى ومحبة به، و الإخبار بأنّ ما تتصدقون به في سبيله تعالى هو بمثابة قرض يقرض لله تعالى، وإن الله تعالى سـيوفيكم قرضـكم ويضـاعفه لكم يوم القيامة، وإنّ الله تعالى يرضـى منكم ما كان خالصا لوجهه الكريم سواء كان قليلا أم كثيرا، فهو تعالى شكور لعبادة يقبل قليلهم و كثيرهم، وحليم عليهم لا يعجل بالعقوبة فيمهل المقصر والمسيء، وعالم بسرهم وعلانيتهم، عزيز في ملكه حكيم في إدارته والقيام بشؤون خلقه. وأظهر المسند معرفا{الله}بلفظ الجلالة للتعريف والتوضيح والتفخيم بالابتداء باسم الجلالة، وجاء المسند إليه{شكور} منكرا بالتنوين لإفادة المبالغة، أي كثير الشكر لا يعلم

قدر شكره أحد و لا تحده معرفة أحد، وكذلك الحال مع{الحليم}، أي لا يعلم مقدار حلمه أحد و لا تحده معرفة أحد، فهو تعالى يشكر على القليل اليسير، وعلى الكثير، وعلى السر والعلن، وكذلك حلمه وسع كل شيء فلا يعجل بالعقاب لمن أستحقه فيسع حلمه المقصر والمسيء حتى يشمله بعفوه ومغفرته تعالى الله علوا كبيرا، و{شكور}((فعول بمعنى فاعل مبالغة، أي كثير الشكر، وأطلق الشكر فيه على الجزاء بالخير على فعل الصالحات تشبيها لفعل المتفضل بالجزاء بشكر المنعم عليه على نعمه، ولا نعمة على الله فيما يفعله عباده من الصالحات فإنّما نفعها لأنفسهم، ولكن الله تفضل بذلك حثا على صلاحهم فرتب لهم الثواب بالنعيم على تزكية أنفسهم، وتلطف لهم فسمى ذلك الثواب شكرا وجعل نفسه شاكرا، وقد أومأ إلى هذا المقصد اتباع صفة{شكور}بصفة{حليم}تنبيها على أن ذلك من حلمه بعباده دون حق لهم عليه سبحانه))(ابن عاشور، 2000، ج28/ص260-261) . ومن المعربين من أجاز أن يكون الخبر واحدا غير متعدد، أي إنّ{حليم} صفة لشكور وليس خبرا ثانيا (ناجي، 2013، ج10/ص73، وصالح، 2010، ج6/ص370)، وعليه يكون نسقه كالآ

مبتدأ(اسم مفرد/علم)+خبر(اسم مفرد) +صفة (اسم مفرد) .

ومنهم من جعل ما ذكر في قوله تعالى اللاحق:{عـلم الغيب والشـهادة العزيز الحليم}أخبارا أخرى عن المبتدأ لفظ الجلالة{الله}(صافي، 1991، ج28/ص276، والابراهيم، 2006، ص557) ، أي إن{علم الغيب و الشهدة}خبر ثالث، وهو مفرد مضاف ومضاف إليه، و{العزيز}خبر رابع مفرد، و{الحليم}خبر خامس مفرد، فيكون نسقه كالآتي:

مبتدأ(اسم مفرد/علم) + خبر أول (اسم مفرد) + خبر ثان (اسم مفرد) + خبر ثالث (اسم مفرد مضاف) + خبر رابع (اسم مفرد) + خبر خامس(اسم مفرد).

ومنهم من جعل هذه الجملة مستقلة عن سابقتها، أي أن {عـلم}خبر لمبتدأ مقدر تقديره(هو)، و{الغيب}مضاف إليه و{الشـهـدة}معطوفة على{الغيب}، و{العزيز}، خبر ثان، و{الحكيم}خبر ثالث (صالح، 2010، ج6/ص370، والدرويش، 2003، ج7/ص544)، أو أن يكون{الحكيم} صفة لـ{العزيز}(ناجي، 2013، ج10/ص73) ، ومنهم من أجاز أن يكون{العزيز}و{الحكيم}نعتان لـ{علم }، والجملة الاسمية (هو عالم) في محل خبر ثالث للفظ الجلالة (ناجي، 2013، ج10/ص73 ، وصالح، 2010، ج6/ص370)، فيكون نسقه كالآ

مبتدأ(اسم مفرد/علم)+خبر أول(اسم مفرد)+خبر ثان(اسم مفرد)+خبر ثالث(جملة اسمية).

ومنهم من أجاز أن تكون الجملة الاسمية{علم الغيب والشهـدة العزيز الحكيم}بدلا من الصفتين{شكور حليم}(صالح، 2010، ج6/ص370) ، فيكون نسقه كالآ

مبتدأ(اسم مفرد/علم)+خبر أول(اسم مفرد)+خبر ثان(اسم مفرد)+بدل(جملة اسمية).

والبدلية على ما يبدو لنا بعيدة؛ لأنّها صفات متباينة في المعنى لا يحل بعضها مكان بعض.

وهذه الصفات المذكورة هي تتميم للتذكير بعظمة الله تعالى مع مناسبتها للترغيب والترهيب اللذين اشتملت عليهما الآيات السابقة كلها؛ لأنّ العليم العالم بالأفعال ظاهرها وخفيها؛ ولأنّ العزيز لا يعجزه شيء بما تقتضيه الحكمة من وضع الأشياء مواضعها ونوط الأمور بما يناسب حقائقها، و{الحكيم} فعيل بمعنى: المحكم، أي المتقن في صنعه ومعاملته وهما معا من صفاته تعالى فهو وصف جامع للمعنيين(ابن عاشور، 2000، ج28/ص261) .فوظيفة تعدد الأخبار هي زيادة الفائدة من النسق بتعدد أوصاف المخبر عنه فيرغب في بعضها ويرهب من بعضها الآخر. وأضمر المبتدأ هنا، إمّا لوضوح المقصود به من السياق؛ لأنّ الله تعالى متفرد بهذه الصفات فلا يشاركه فيها أحد، وإمّا لأنّه ذكر قبلا في الجملة السابقة وبينهما من وحدة معنوية و التحام نحوي شديد كما بيناه آنفا، فأضمر لتجنب التكرار الذي يثقل السياق . وفي الآية من وجوه البلاغة، منها صيغ المبالغة في{شكور}و{حليم}؛ لأنّ فعول و

فعيل من صيغ المبالغة، أي كثير الشكر وكبير الحلم (الصابوني،2009، ج3/ص1348)، وفيها من السجع المرصع غير المتكلف بتوافق الفواصل في{والله حليم}و{علم الغيب والشهدة العزيز الحكيم}(الصابوني، 2009، ج3/ص1348) .

وهذه الجملة إمّا مستأنفة لا محل لها من الإعراب (صافي،1991، ج28/ص276، وناجي،2013، ج10/ص73 ، والابراهيم، 2006، ص557)، أو في محل نصب حال من فاعل {يضاعفه}أو{يغفر}(صافي،1991، ج28/ص276، والابراهيم، 2006، ص557)، فعلى الأول تكون مفصولة صناعيا عما سبقها، وعلى الثاني تكون فضلة مكملة للجملة تحل محل مفرد .

المبحث العاشر: النسق ذو المبتدأ المقدر والخبر المتعدد.

مبتدأ(اسم مفرد/مقدر)+خبر أول (اسم مفرد/مضاف)+خبر ثاني(اسم مفرد)+ خبر ثالث(اسم مفرد).

ورد هذا النسق مرة واحدة(الملحق رقم:10)، في هذه السورة، وهو قوله تعالى:{علم الغيب والشهدة العزيز الحكيم}، الوارد في قوله تعالى:{إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضعفه لكم والله شكور حليم*علم الغيب والشهدة العزيز الحكيم}(سورة التغابن:17-18)، وقد بينا إعرابه وتفسيره وآراء العلماء فيه في النسق الآنف الذكر ما يغني عن إعادة الكلام فيه.

الملاحق

- ✓ الملحق: رقم (1)
- ✓ {... ذلك الفوز العظيم}(سورة التغابن:9).
- ✓ الملحق: رقم (2) .
- ✓ {...وذلك على الله يسير}(سورة التغابن:7)
- ✓ الملحق: رقم (3) .
- ✓ {...وهو على كل شيء قدير}(سورة التغابن:1) .
- ✓ الملحق: رقم (4) .
- ✓ {...والله بما تعملون بصير}(سورة التغابن:2) .
- ✓ {...والله بما تعملون خبير}(سورة التغابن:8) .
- ✓ الملحق: رقم (5) .
- ✓ {...والله بكل شيء عليم}(سورة التغابن:11) .
- ✓ الملحق: رقم (6) .
- ✓ {...والله عليم بذات الصدور}(سورة التغابن:4) .
- ✓ الملحق: رقم (7) .
- ✓ {...فأولئك هم المفلحون}(سورة التغابن:16) .
- ✓ الملحق: رقم (8) .
- ✓ {...ذلك يوم التغابن ...}(سورة التغابن:9) .
- ✓ {...أولئك أصحاب النار...}(سورة التغابن:10) .

- ✓ الملحق: رقم (9) .
- ✓ {...والله غني حميد}(سورة التغابن:6) .
- ✓ {...والله شكور حليم}(سورة التغابن:17) .
- ✓ الملحق: رقم (10) .
- ✓ {علم الغيب و الشهدة العزيز الحكيم}(سورة التغابن:18) .

الخاتمة

- ✓ إنّ مصطلح البيان واسع جداً يشمل كلَ معطيات اللغة العربية، من لغةٍ ونحوٍ وصرفٍ وبلاغةٍ ودلالة، أي يشمل كل ما يساعد على رفع القناع والكشف عن المعنى، فيقصد بالبيان عصارة التركيب، أو المعنى المستخلص منه.
- ✓ إنّ مصطلح الجملة المقيدة لم يُعرف في الوسط النحويّ قديماً، و يُرادفه عندهم مصطلح النسخ، أو الجملة المنسوخة التي يدخل عليها أحد النواسخ، وقد استخدم مصطلح الجملة المقيدة حديثاً بنطاق ضيق كما أوضحنا ذلك آنفا، لكن هذا المصطلح كان مستخدما عند البلاغيين ولاسيما عند أهل علم المعاني، والتقييد عندهم واسع غير محصور في النسخ، لذا نرى أنّ النحو قد استورد هذا المصطلح من البلاغة .
- ✓ للمسند والمسند إليه في الجملة المفردة الركنين أنواع كثيرة، فقد يكون علماً، أو ضميراً ظاهراً، أو مضمراً، وقد يكون مفرداً مجرداً أو مضافاً، وقد يكون مُقدماً أو مُؤخراً، فتختلف دلالة الجملة باختلاف ركنيها، وعليه تختلف القيمة البيانية تبعاً لذلك التباين في التركيب، ولكل نوع من هذه الأنواع أغراض بلاغية كثيرة فيحدد السياق الغرض المراد منه، لذلك لا يكون اختيار هذه الأنواع في السياقات القرآنية اختياراً عبثياً، وإنّما يكون اختياره موافقاً للمعنى المراد إيصاله للمخاطب من خلال النسق أو التركيب المستعمل للخطاب.
- ✓ وجدنا في سورة المزمل ثلاث عشرة جملة من الجمل المفردة الركنين، موزعة على عشرة أنساق، تباينت تراكيبها، وهذا التباين في التركيب نتج عنه تباين في القيم البيانية من خلال الأغراض التي تؤديها في السياق القرآني، وست جمل منها كان المبتدأ فيها لفظ الجلالة(الله)احتفظ برتبته، أي قُدم على خبره، والخبر فيها مفرداً مؤخراً، صفة على وزن(فعيل)هي: (بصير)و(خبير)و(عليم) و(غني)و(حميد)و(حليم)، أضف إلى ذلك أنّ هذه الصيغة جاءت خبراً عن لفظ الجلالة (الله) تعالى عشر مرات في ثماني جمل، وأُخبرعنه مرة بصيغة (فعول){شكور}، وهي كذلك من صيغ المبالغة؛ ومرة بصيغة (فاعل){عالم، وهي كذلك تفيد التكثير؛ ولعلّ استئثار هذه الصيغ ولاسيما صيغة (فعيل) في هذه السورة هو للمبالغة في وصف الله تعالى، وللإخبار بأنّه تعالى لا يماثله أحد في صفاته هذه؛ وهذه الدلالة مستقاة من صيغة (فعيل)التي تدل على التكثير والمبالغة، وعليه نستنتج أنّ وظيفة الجملة الاسمية في هذه السورة هي تثبيت الاعتقاد بصفات الله تعالى وترسيخها في أذهان المسلمين، وإخبارهم بأنّ الله تعالى{قدير}(التغابن:1) على فعل كل شيء فلا تنصرفوا إلى غيره في طلب حوائجكم، وأنّه تعالى{بصير}(التغابن:2)، أي يراكم ويرى أعمالكم الظاهرة والباطنة، و{عليم بذات الصدور}(التغابن:4)، فاخلصوا العمل له، وأنّه تعالى{غنيّ}(التغابن:6)عن خلقه فلا يحتاجهم في شيء، و{حميد}(التغابن:6)، أي كثير الحمد محمود في ذاته وصفاته لا تنفعه طاعة، ولا تضره معصية، وأنّه تعالى قادر على إعادتكم كما خلقكم، وإنّ ذلك لا يُنقص من ملكه شيء، وإنّ بعثكم عليه{يسير}(التغابن:7)، أي سهل هين عليه، وأنّه تعالى{خبير}(التغابن:8)، بأعمالكم لا تخفى عليه خافية منها، فهو{عليم}(التغابن:11) بكل شيء خَلَقَه، عليم بأحواله وبأفعاله، كما أنّه تعالى{شكور}(التغابن:17)، أي

كثير الشـــكر للمحســـن على إحســانه، و{حليم}(التغابن:17) بالعباد لا يعجل عليهم بالعقوبة، وهو تعالى{عالم الغيب والشـــهادة}(التغابن:18)، أي عالم بما غاب وحضـــر لا تخفى عليه خافية، وهو{العزيز}(التغابن:18)الغالب في ملكه{الحكيم}(التغابن:18)في صـــنعه، والحكيم في تدبير أمور خلقه وإدارة ملكه، فمن كانت هذه صـــفاته فهو أحق أن يعبد.

- ✓ ثلاث جمل كان المبتدأ فيها اسم إشارة{ذلك}(التغابن:7و9و9)، أشير فيها إلى (البعث) وإلى(يوم القيامة أو يوم الحساب) وإلى(الفوز أو دخول الجنة)، وجملتان كان المبتدأ فيهما اسم الإشارة{أولئك}(التغابن:10و16)، الأولى عني بها (أصحاب النار)، والثانية (المنفقين المتقين شُحّ أنفسهم)، وجملة واحدة كان المبتدأ فيها الضمير{هو}(التغابن:1)، وقد عني به الله تعالى بدلالة الخبر{قدير}، وجملة واحدة أضمر فيها المبتدأ، أو قدر بـ(هو)، وهو يعود إلى لفظ الجلالة{الله}، وقد تعددت أخباره، كان أولها{علم}على صيغة (فاعل)، وثانيها وثالثها على صيغة (فعيل) وهما{العزيز الحكيم}(التغابن:18).
- ✓ اختلفت مراتب الخبر بالنسبة لمتعلقاته، وحتما كان لكل تركيب دلالة خاصة وقيمة بيانية مختلفة .
- ✓ هناك قيم بيانية جزئية وقيم بيانية كلية، فأمّا القيم الجزئية فتتمثل بتباين ركني الجملة الاسمية المســـند والمســـند إليه ونوعهما، واختياره بما يوافق الغرض البياني المراد إيصـــاله إلى المخاطب، أمّا القيم الكلية فتتمثل في تركيب الجملة ككل ونوعها وموقعها الإعرابي، أي محلها من الإعراب ومن اختلاف الوجوه الإعرابية التي تحتملها في السياق القرآني الواحد.
- ✓ غلب استخدام هذا النوع من الجمل في خواتيم الآيات، إذ اختتمت بها إحدى عشرة آية، وجملتان توسطتا آيتيهما، وصلاح هذا النوع من الجمل لختم الآيات نظنه بسبب قصر هذه الجملة ورشاقتها وخفتها على اللسان، فوقعها وقع المثل أو الحكمة في الكلام فبذلك صـلحت أن تختتم بها الآيات، وقد أكسـبت الآيات قوة ووقعا في نفس السـامع إذ جعلت السـياق كأنّه مسجوع مقفى ليتذوقه المتلقي.

المصادر والمراجع

ابن القيم، الامام ابن القيم – التفســير القيم، حققه: محمد أويس الندوي ومحمد حامد الفقي، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: 1408 – 1988م.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي– صحيح ابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى: 1408هـ – 1988م.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني – مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، وعادل مرشد ، وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى:1421هـ – 2001م.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسين – جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى:1987م.

ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر – التحرير والتنوير، موسوعة التاريخ ،بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: 1420هـ – 2000م.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الاندلسـي – المحرر الوجيز في تفسـير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السـلام عبد الشـافي محمد ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية:1428هـ – 2007م.

ابن منظور، محمد بن مكرم جمال الدين– لسان العرب، دار صادر، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة:1414هـ.

ابن هشـــام ، عبد الله يوســـف بن أحمد جمال الدين – مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق – سورية، الطبعة السادسة:1985م.

ابو المكارم ، د. علي – الجملة الاسمية، دار غريب، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى:1432هـ – 2011م.

الابراهيم ، أ. د. محمد الطيب – إعراب القرآن الكريم الميسر، دار النفائس، بيروت – البنان، الطبعة الثالثة:1427هـ – 2006م.

الأزهري، خالد بن عبد الله – موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، تحقيق: عبد الكريم مجاهد، مطبعة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى:1415هـ – 1996م.

الأزهري، محمد بن أحمد – تهذيب اللغة ، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى:2001م.

الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود البغدادي – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى:1421هـ – 2000م .

الأندلسي ، أبو حيان محمد بن يوسف ، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى:1420هـ.

الأهدلي ، الشيخ أحمد ميقري – البرهان في إعراب آيات القرآن، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، د, ط: 1427هـ – 2006 م.

البخاري، محمد بن اسماعيل – صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى:1422هـ.

البرزنجي، عمر اسماعيل – خصائص التراكيب ودلالاتها في القصص القرآني، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة تكريت، بإشراف: أ. د. فائق مصطفى أحمد، و أ.د. أحمد حمد محسن الجبوري، 1435هـ – 2014م.

الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب ابو عثمان – البيان والتبيين ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت– لبنان، د. ط :1423هـ.

الجرجاني ، أبوبكر عبد القاهر بن عبد الرحمن– دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – مصر، الطبعة الثالثة:1413هـ –1992م.

الحلبي ، الامام شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد السمين– الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى:1414هـ – 1994م.

الحملاوي، الشيخ أحمد – شذا العرف في فن الصرف، دراسة و تحقيق: عادل عبد المنعم أبو العباس، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، القاهرة– مصر، الطبعة الأولى:2010م.

الدرويش ،محمد محيي الدين – إعراب القرآن الكريم وبيانه ، دار اليمامة ودار ابن كثير، دمشق– بيروت، الطبعة التاسعة:1424هـ – 2003م.

الرازي، الامام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين – التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب ،أو تفسير الرازي ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة :2009م.

الزبيدي ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق – تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د. ط : د.ت.

الزمخشري، الامام أبو القاسم جار الله محمود بن عميرة بن محمد– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ترتيب وضبط: عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، الطبعة الخامسة:2009م.

السامرائي ، د. فاضل صالح – الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر، عمان – الأردن، الطبعة الثالثة:1430هـ – 2009م.

السامرائي، د. فاضل صالح – لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، العاتك للطباعة والنشر، القاهرة – مصر، الطبعة الثانية: 1427هـ – 2006م.

الشعباني، د. صكر خلف عواد – الجملة الاستئنافيّة في القرآن الكريم، دار جرير–الأردن، الطبعة الأولى: 2014 م.

الشـوكاني، محمد بن علي بن محمد – فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسـير، تحقيق: د .عبد الرحمن عميرة ، دار الوفاء المنصورة – مصر، الطبعة الأولى: 1415هـ – 1994م.

الصابوني، الشيخ محمد علي – صفوة التفاسير، المكتبة العصرية، بيروت– لبنان، د.ط:1430هـ – 2009م.

الطبري، محمد بن جرير – جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى:1420هـ – 2000م.

الفيروزابادي، مجد الدين أبو طاهر– القاموس المحيط، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسيّ، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة ، الطبعة الثامنة:1426هـ – 2005م.

المبرد، محمد بن يزيد أبو العباس – المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت – لبنان ، د. ط :د.ت.

الهاشمي ، السيد أحمد – جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، تحقيق وشرح: د. محمد التونجيّ ،مؤسسة المعارف ،بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة: 1428هـ – 2008م.

حماسة، د. محمد حماسة عبد اللطيف – العلامة الإعرابية في الجملة العربية بين القديم والحديث، الكويت، د.ط:1983م.

حماسـة، د.محمد حماسـة – النحو والدلالة، مدخل لدراسـة المعنى النحوي، دار الشـروق، القاهرة– مصـر، الطبعة الأولى: 1420هـــ – 2000م.

صافي، محمود صافي – الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، مع فوائد نحوية هامة، مطبعة النهضة، قم– إيران، الطبعة الأولى: 1411هـ – 1991م.

صالح، بهجت عبد الواحد – الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل ، دار الفكر، الأردن– عمان، الطبعة الثالثة:1430هـ –2010م.

طبانة، د. بدوي طبانة – معجم البلاغة العربية، دار المنارة، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة: 1418هـ – 1997م.

فلفل، د. محمد عبدو فلفل – معالم التفكير في الجملة عند سيبويه، دار العصماء، دمشق – سورية، الطبعة الأولى:1429هـ – 2009م.

ناجي ، د. روعة محمد ناجي – النهج القويم في إعراب القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى:1434هــــ – 2013م.